894.342-1
K 910
K
арад. Аз.

أباي

مختارات شعرية

ابای
قونانبایف

894.342-1
K 910
K

ابای قونانبایف

مختارات شعرية

ترجمة جيلى عبدالرحمن

الما ـ اتا
«جازوشى»
١٩٨٨

رسام حاجيكوف
تأليف اوسيروف

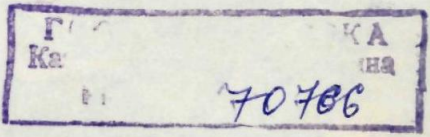

ISBN 5—605—00226—0

К 4702230100—018 / 402(05)—88 166—84

© «جانر وشي» ، ١٩٨٨

لتتأمل فى اعماقى المتأججة
فأنا و طريقى ·· غريبان عليك
لقد خضت المعارك الضارية
لا نير الدرب للا جيال القادمة

ابای.

توجه ابای بهذه الكلمات الحارة الى الا جيال القادمة... ابيات نابعة من القلب.. تعكس توهج الشاعر.. الذى نفذ ببصيرته عبر ضباب القرون الكشيف الى العد المشرق.
مختار اويزوف.

كان يشدنا الحنين للصيد
والصقر يتلهف للثعلب الداهية
حسبنا جواد اصيل، ورفيق
صادق الود، وزاد للطريق الوعر.

نخب فى الوادى حتى مصب النهر
تتلاشى الاثار التى ينبشها المخادع
ويقف حامل الصقر على قمة الجبل
يترقب ركض الوحش فى الدغل.

الصقر المتوحش... تتوقد نظراته
مسنونة كالرمح... ترتمى على البعيد
يلمحها الثعلب... مندسا بين الصخور
فات الاوان... فمن ورائه تعوى الريح.

الطريق تلتوى، والقمة شاهقة
لا مهرب من العين الجائعة للدم

النظرات مشدوهة، والفم فاغر.
لا مناص من القتال... حتى الرمق الاخير.

تهرول الخيل فى رحلة الصيد
وتلتوى الاعناق على اعنتها
لا يرفع الثعلب راية الهزيمة...
يشرع للمدو اربعين مدية

الصقر العاتى بمخالبه الثمانية
لا يتراجع امام كائن!
لجناحيه صفير رهيب
وهو ينقض مثل القدر.

الصقر و الثعلب يلتحمان،
فى صراع الجبابرة المضنى.
من يا ترى يتضرج فى الدم؟
حين تنزف الجراح... على صدى
القهقهات!

ما أروع ان تختلط الا لوان:
حسناء تستحم فى بحيرة الضياء
تمسح شعرها الحالك
وترش النور على بشرتها البضة.

يختفى عنقها الارجوانى...
تحت برقع من ضفائرها المتهدلة
عندها ينتفض الصقر... مرتعش الاوصال
يفرد جناحيه فى نشوة عارمة
مثل يافع يضج بالفتوة،
يحتضن عروسه ذات الحسن الفاتن!

يتهادى صاحب الصقر... كالطاووس
ونلتقط انفاسنا المجهدة!
وحينما نشارف خيام القبيلة
يزغرد الفرح فى صدور الناس.

الصخور الوعرة... والنسائم العزراء
ـ والصقر الذى بشاركنا الرحلة
تمسح عنا ادران النفس
فى هذا العالم الا سيان.

متاع الدنيا لا يمنح السكينة!
يا من تزنون الكلمات كالذهب
ان اردتم ان تشرئبوا للاعالى
ان تضى السعادة خرائب النفس
فلتهر عوا على ايديكم الصقور...
الى رحاب الغابه البتول.

ان طرقت ابياتى قلوبكم الصماء...
فأعدوا الصقر لرحلة الصيد.
حسبنا جواد اصيل، ورفيق
صادق الود، وزراد للطريق الوعر.

اعوام ١٨٨١ ـ ١٨٨٥

جبهة فاتنتى كالذهب الخالص
عيناها كحيلتان تومضان بالضياء
اى ريشة رسمت حاجبيها
الذين يذكراننى ـ فى اسماى ـ بالهلال
الوليد!

لتستغرق فى البهاء الالهى
اسنانها عقد لؤلؤ يشع
الانف دقيق، ورشيق
والخد متورد... بض!

فى بسمتها تشدو البلابل
و عنقها تياه كالاوزة.
و هذا الذقن الا سمر،
لم يلاطفه احد بعد.

هيفاء القوام كالدالية
تفاحتان، ناضجتان... لا أحلى!
و شعرها الحنون... الحريرى
يتماوج مثل ضفائر الليل.

هل تهب حسناء قلبها؟
لخامل بلا موهبة!
يتسكع فى الاسواق
متبجها بالمعرفة!
متعجرفا يتهادى عجبا
يتيه خيلا، وادعاء
احلام العصافير... افقه
و روحه فارغان... كالكهف!

التواضع درة العفاف
فلا تتصنعن الشمم!
فالثرثرة بلا حياء...
باب الى التهلكة.

الحب قطر فى الجفاف المر
تفيئوا فى ظله الوريف،

نسغ يدب فى الجذ ور.
شئ يذر فى خطاه النور!

اعوام ١٨٨١ ـ ١٨٨٥

ايه ايها الكازاخ... يا شعبى البائس
شواربك الكثة تعجب الا فواه...
الدم فى خدك الا يسر، والا يمن متخم بالشحم
فكيف الطريق الى الحق... واين حجاك؟

الا عراب التى تهيم فى الوادى والقرى
صمت اذا نها عن النصح الرشيد
وسيقت الى مرا بض الضلال
امتص الجور دمها... حتى النخاع.

متى تمسك زمام امرك بيديك؟
اشباح الاحلام... تطاردك فى اليقظة
وانت تحدق فى المهانة والذل
مؤ رفا فى تقلبك الابدى.

كيف آمل فى صحوتك يا شعبى؟
ان لم تمتلك مصيرك للابد!

لقد شوه الانذال ورعاع الناس،
روحك الباسلة، وتاريخك المجيد!

الى متى يتصارع الاشقاء؟
و تميد الصفوف بالحقد
و تحوم على الافق الغربان
تنعق بالشؤم، و سواد المصير.

لست منك يا شعب الكازاخ البائس
لم اشب فى رمل البادية الساجى
صلبا كالصخر... و شامخا كالجبل
ان لم تمزق الكرى، و تنتفض!

ضلت خطانا فى متاهات البيد
فهل تلف السكينة عناء الروح؟
و الجهل يضرب بأ و تاده فى الارض
و الجبال يوشحها الفقر و الاهات.

عز فت لك انشودة الخلاص
فألقيت بها... سخرية و قهقهات
ايه ايها الكازاخ... يا شعبى البائس
ما أتعس هذا المصير الفاجع؟!

عام ١٨٨٦

اذا انفرط عقد الجراهر... فلن يضيع
سيلتقطه من التراب انسان ما
و كلماتى كالدر لن تذهب سدى
ابثها للجميع... حتى تهز الا عماق
لتموتوا بغيظكم يا من تعذبكم اشعارى
فا لمثل يقول: الكلاب لا تعرف اللاءاء

من يذهب الى السوق... لن يفقد حريته
ليشتر كما يريد خبزا... اولؤلؤا
فقد صنعت النقود الشراء و التبادل
ولكن كلماتى لاتباع... او تشترى.

انها زاد وملاذ لمن يعيها
تبعث الدفء وحسن الطوية

لتموتوا غيظا يا من تعذبكم اشعارى
فالحق ان الكلاب لا تعرف اللالئ.

عام ١٨٨٦

الصيف

حينما تذبل فى لظى الصيف
الا عشاب والحشائش والا وراق
نشد رحالنا و خيامنا
حيث تنحدر الانهر الجبيلة
و تستقر مضاربنا فى المنتجع
يشنف اذاننا صهيل الخيل
وتهتز ارداف الافراس مرتعشة
يقف القطيع على حوا فى الماء
كباقة مختلفة الالوان
يهز اذياله فى خمول
حينما يعضه الذباب المفترس.
صغار الخيل تركض جذلى
فى حلقة رقص بهيجة
وهى تجر القطيع وراءها!
يتصاعد صياح الاوز للسماء
وينزلق البط عائما فى الحيرة

وتنصب الحسناوات الخيام
تتفجر ضحكا تهن طافحة بالبشر
ومن بعيد تلمع صهوات الخيل
اجتازت القبيلة الرحلة بسلام.

الباى يلحق بمضارب القوم
على صهوة جواد... اشهب
يتحلق الناس على القرب المترعة
ويكرع المتعبون لبن الخيل
تهللت لحى الشيوخ المهيبة
وساد اللغط... ورف الامان
تطهى الامهات اللحم والثريد
فيثرثر الاطفال صائحين
يثغون، يحجلون كالحمائم.
وفى الظل الذى يمتد فى تموج
يجلس الباى مع علية القوم
يرتشف الشاى فى ابهة وجلال
الصمت يخيم والناس يصغون
فحديثه لبق... مسحور الكلمات
يبهر السامعين... ويأخذ بالا لباب.
و فجأة يلوح شيخ وقور
يرتكز كالشبح على عصاه
متلفعا بعباءة بيضاء،
يهذى ليثير انتباه الباى

رن صوته الجهورى فى الرعاة
«الا يعرف القطيع المكان؟»
يشفق الباى على العجوز الهرم
ويدعوه الى شراب لبن الخيل
فيختال مهتزا... حيث يجلسون.
الرعاة يهرولون على الخيول الجامحة
يقودونها الى مرابضها لتنام.
وفى البعيد على المدى مهرجان:
ابن الباى وزمرة من الشباب
البنادق فى ايديهم والصقور
والجارح المغوار ينقض فى جلال
يجندل الطير بضربة من جناحه.
العجوز الذى هدمته السنون
يجرجر عصاه وايامه
وبسمة بلهاء... تفغر فاه
عبثا كان يتملق الباى بالنكات...
فى موكب الصيد الهادر... والقطعان.

عام ١٨٨٦

طعم العلقم فى حلقى وحياتى تنصرم
مديدة... لم استثمر كنوزها المعطاءة
هل تعلم معنى كيف تلوك كلمات جوفاء؟
وانت زاخر بالفكر... جياش بالمعانى!
هاأنذا فى غمرة الحياة مع الاخرين
لم ينزعنى ظلام الجهل من هاوية النفس
اصبحت اقهقهه فى الفراغ... وابعثر
الكلمات.

من يثرثر بغباء، ويذم، ويغرق فى المدح
نقول لمثل هذا الانسان «ليس بكازاخى»
فنخن نسقط المنافق من حسابنا،
حين يتكلف البسمة، ويخفى البغضاء
ينحدر، وتتلاشى ملامحه كانسان.

يقتلنا تقلب الفكر... والتسكع
ضاعت الثقة فى وفاء الصد يق

تداس كرامتنا... و نهين سوانا!
ونضمر فى نفوسنا الحقد البارد.
الحب يفترض التماثل الروحى
والوفاء لا يعرف القطيعة
لااحد يدفئنى بالمودة

خلت الارض من الاصدقاء
فلذت بمحراب الشعر
يبدو العالم بحرالا يحتضن
روحى النقية... لا تستطيع خوضه.

الصداقة هبة من السماء
كانت لدى حفنة قليلة
مزق الجهل المسعور اوصالها
وضاعت فى مهب الريح.
تهيم النفس على وجهها
فى صقيع الوحدة القارس
يخرقها الشوق والحنين
ويا عجبا... كل اصدقائى
خانوا عهدى... كل بطريقته.

عام ١٨٨٦

الشعر سيد الكلمات، و سلطان الفنون
فمبدع القريض... يتفجر بالحكمة
يدفئ الروح ويغمرها بالطيبة
والشعر الصافى رائق مستساغ
والسفاسف، وللغو، والخشو، والاطالة
عنوان جهل الشاعر، وجناحه المهيض
والعديدون لا يستطيعون تذوق الشعر
وهم يتردون فى الفقر والضحالة.

فى البدء كانت الايات البينات والا حاديث
حتى المضمرون هرعوا الى ابيات الشعر،
فلماذا تدفقت ينابيع الحكمة من الانبياء
لو لم تكن مفعمة بالايقاع والتناسف.
الفقهاء الدين يلجاون الى الله فى الصلوات
والانبيأ الذين يسبرون غور المستقبل
يموسقون كلماتهم... كل على قدر موهبته

قد تستطيع ان تنسج عقود الكلمات
ان تتحايل على القروض بالاخيلة
لكن عبثا تتطلب صوت الشاعر.

ن ايها الكازا خيون يستطيع ان ينظم
عان كالذهب... فى صحائف من الفضة
ن خاطرى يسرح... عبر الاجيال
أرى كيف اهدرت الحكم والامثال النبيلة.

ان ادعياء الشعر من الضحالة والجهل
حيث ينظمون، ويمدحون من لا يستحق
ريقون دم الوجه بالقيثار والطنبور
قد انشدوا المديح لعلية القوم
مدوا ايديهم المرتعشه كالمتسولين
غوا الكلمة فى الوحل... واهدروا كرامتها
اع المحترفون ارواحهم، وتملقوا الناس
تسولوا بالكلمات كالسائمة
اتكأوا على انساب غيرهم زورا
غين لقبائلهم المجد والغنى
رغم تملقهم «للبابات» واصحاب السطوة
نهم لم يكونوا موسرين ابدا
لهذا يقول الكازا خيون فى استعلاء
، الشعر فارغ، والشعراء ثرثارون

لن اهدر كلماتي كما صنع المغنون المبتذلون
ولن امديدى للنقود. كالشحاذ الهرم
سأنطلق من المعنى النابع من الحياة
«وانت الحكم والقول الفصل»
فلتطلق على ماتشاء من النعوت
ان مدحت قاطعي الطرق، ومصاص الدماء
«ولم انشب قلمي في اعناقهم»
لن يسرى الغزل الرخيص في اشعارى
فلترهف اذنك لكل كلمة
الم ترقك طويلا... هذه السفاسف!

يتلاشى حب الناس للفكر الخلاق
ويتصايحون نحن عبيد اقدارنا
«يحيط» بنا الانانيون كالسور
والانسانية كلمات لا معنى لها».

لا تجرحنك كلماتي الحادة كالمدى
وددت ان تتوج الصنوبر والدوالى
ولكن ابيع النهب... واأ سفاه!
فماذا يمنحنا هؤلاء المتشدقون

ترى الا نجد شريفا واحدا؟
واعجبا... فان الناس مستكينون
للدجالين ذوى الكلمات المد اهنة

هؤلاء الذين يوقدون البغضاء
حتى اصبح الشرف والضمير
كلمات فارغة... ويهدر دمها.
الخديعة تنتفش كالصوف
ويهرب الناس من المعانى العميقة.

عام ١٨٨٧

الخريف

الضباب الخريفى يغطى الارض العريانة
غيوم رطبة وسماء تنذر بالمطر
ربما تلتمس المهرة الدفء حين تقفز
تسرح بعينيها والمدى صامت حولها
جف السوسن والعشب، وران الصمت المقفر
لكن ضحكات الاطفال لا تزال ترن منتعشة
هياكل الاشجار الرثة تقف كالعجائز
عراها الزمن من الاوراق والخضرة.

يدبغ الناس صوف الا غنام والا بقار فى البراميل
وترقى النساء خرف المعاطف بجلود الا غنام
العجائز يغزلن وعروقهن كالجذوع
يتمطى السأم كبومة تمد جناحيها الكالحين
اسراب العصا فير تهاجر زرافات الى الجنوب
وتحتها تغذ السير قوافل الابل المتهالكة

وفى مضاربنا تخيم الكآبة... والصمت المهيب.
خلف الناس وراءهم... ضجة اللعب البرئ
فالرياح تزأر... والزمهرير يغطى الكون
ويعذب الصقيع الحقول والشيوخ والاطفال
والكلاب الجائعة تتصيد فئران الحقول
فليس ثمة لحم فى العظام المقاة.
تذر الريح التراب فوق البرارى السوداء
الخريف حالك السواد... شائخ الليالى
يجلل خيامنا بالظلام والملل والتعاسة
فالنير ان لا تضرم فيه و تخرس الاناشيد

عام ١٨٨٨

الشتاء

دثر الثلج الكون فى معاطف الفرو
زحف الشتاء بلحيته الفضية
يفح من جبهته الدجدة العداء
ويخطو على الدنيا اعمى... باردا كالرصاص!

غطت حاجبيه ... قبعة الغيم المثقل
ذلك الصهر الحميم الذى يمطرنا بلعناته
انفاسه الجهنمية تفح بالصقيع والعواصف
يمزقنا السعال... وتحمر خدودنا من البرد

الشتاء منقبض الا سارير... مختنف العبرات
مرتعش الا وصال... يتلفع بأكفان الثلج
مكفهر بالخقد الصامت... كالجبل الحاقد
فتهتز جوانب الخيمة... من نغث شروره.

الاطفال يهرعون لبيوتهم... وهم ظماى للعب
فالبرد يلدغ الانوف بذراعه الخانقة

لا يحن قلبه لسراويل الرعاة القصيرة
فيعودون حاملين الرعشة والرياح على الظهور.

تسير الخيل الهوينا... فهى لا تقوى على العودة
يتلوى الذئب وهو يعض اضراسه فى البرية
يحشر الرعاة مواشيهم فى الخظائر
فكل شئ يستباح فى هذا الزمن الاسود!

افتح عينيك... فالنوم يعنى الموت
لان صديقنا الذى يعتمر قبعة الفيم
تفح انفاسه الجهنمية بالعواصف
ويخطو على الدنيا اعمى... باردا كالرصاص.

عام ١٨٨٨

فى ليل ناعس الاهداب
سرى النور فى حواشيه
وارتعشت شعاعات القمر
فى مسارب النهر الصخابة
تتوشح الاشجار بالخضرة
عبر مضارب الحى الاليفة
تتهامس اوراقها و تتناجى
و تغطى الارض بالسندس
متالقة بالا ندأ الفضية
و تردد الجبال اصداء،
الكلاب النابحة... والرعاة،
تسللت مليكتى... وروحى
للقائى.. وراء حينا...
جمعت اطراف شجا عتها
و تورد خداها من الخجل
تكظم تعبها اللا هث

لا تود بعد ان تتحدث
مع القلب الذى يدق!
ثم اقترب رحيق شفتيها
من شفتى الظامئتين

عام ١٨٨٨

ГОС ... ОТЕКА
Каз ... ШКИНЯ
Инв. ... 70766

كلمة الالمعى الراشدة
بعيدة عن ادراك الحمقى
لكى ترى شمعة الحقيقة
اوقد نور البصيرة!
ليس خاويا حديث القلب،
مثل ضجة السوق!
والعقل الذى يلتمع بالحكمة
يقدح زناد الرزانة.
فارغة رأس الغبى
لا تطيق الصمت و لاصغاء
دنياه كؤوس مترعة
اواه... ماافقر الزاد!

يصدح الشاعر بالغناء
فيحدق فى اللاشئ
النغم المسحور الكلمات

كالطبل الفارغ صك الاذنين.
مرح الاطفال الساذج
والعبث واللهو مبتغاه
هذا قلب بلا أوتار
خال من زخم الفن

ان ضاع الحق
فى سوق الرق
صار المخمل مثل القطن
سحقا للشعر، وللفن.

عام ١٨٨٩

ايه ايها اللسان... ذو اللحن و النبرات
انت الذى تنقذ كلماتك الى القلب
تسرى احيانا فى رفق من بعيد
مستقرة فى الاحساس والمشاعر،
وعاتية حينا كالاعصار المدمدم
مزمجرة مثل البرق الخاطف...
لتنطلق صادحا... و مجهشا بالبكاء
ولتفض بالالم الصاعق، والفرح العظيم.

لا تعذب انغامك بلا جدوى
فالاذان الصماء لا تعى
وهى لا تعرف قدرك.
اقطع من حد السيف
وادق من سم الخياط
متموجا بالموسيقى واللحن
بالوانك المتعددة الزاهية
لمن يعيك وتشجيه اسرارك.

حينما يفتقد الناس الارادة
تبرق انت بنار الفكرة
و تنطلق مزاميرك اللاهبة
تبعث الفزع والسهاد
فى قلوب الخائرين والجبناء
ان اخترت الصمت يارفيقى
مدخرا لغتك البليغة
سيضل القطيع... بوادى الخواء!

اعلم ان الدم يغلى
ويشتعل الغضب فى الشرايين
حينما تقصف كالسيل العرم:
«لتشحذوا العزائم كالسيوف
فالضعف سبة العصر»
ويعتصر الالم الاحرف
ان خلع برقع الحياء

«وظلوا فى سباتهم يعمهون».
حد ثنا عن المكائد والاحابيل
عن المنسحقين والجوف،
والثعابين الملساء
التى ترقص امام مروضيها
وتخفى انيابها الصفراء السم.
وليكن حديثك... كالسكين فى اللحم

لعل الناس يفركون الاعين
لعل بصيصا... يغئ الدرب!

هل قلت... ايها الرفيق المبين
ان السؤال يذل العفيق
والتشاؤم يغل الشجعان
والمعرفة.. تفل الحديد؟
المحبة تفجر الطاقة المبدعة
لكنهم اشاحوا عن قوافيك
فلتدو. كالحمم... كالبراكين
حتى توقظ المقابر الموحشة.

ان بخست نفسك حقها
وما انتفضت... تحمى عزتك
تتوج بالشرف... اياتك
استحالت كلماتك هشيما
وحصدت من الفن القتاد
فلا تنؤ بعباء الامانة
فالذين استمرؤوا البهتان
سيبؤون بسوء المصير.

واعلم... حين تسعى الوشاية
وترفع الاباطيل اعنتها

وتثقل التخمة الجهلاء،
ومن يتنكبون الطريق السوى
يشيع الحزن فى انغامك
ولكنك تنهض من كبوتك
وتنفض عن اساك اليأس
فمرماك... لا يزال بعيدا.

المرض لا يدب فى البدن
ولكنه يتغلغل فى الروح،
فتاكا يمزق الاحشاء
جاثما ـ كالصخرة ـ على الصدر
لتنتحب ـ يارفيقى ـ فى صمت
فالحياة متخمة بالغباء
ومن اين لك زخم الفن؟
والالهام، والمثل الرائعة.

قدلا تملك حيلة من امرك
فالسوق الذى يطن كالنحل
ويتسكع فيه الكازاخ
لا حول لك فيه ولا طول.
امتقع اللون، وخرس الصوت:
فالقنديل بلا زيت
والمركب بلا شراع
والجدار يسد المدى!!

شبب عمرى الذى ولى
كان مفعما بالقوة
نهدت ايامه وخارت
وضاعت فى البيداء سدى
فى صحراء المهانة والا ضطراب
طارت الفتوة هباء...
لا املك حيلة من امرىٔ
فالسوق كان مرهقا ورتيبا.

لتفضّ ايها الرفيق الاسيان
وانفض عنك الرعب القاتل
فلن تقع حتى اخمص القدمين
فى عنكبوت البهتان والزور
لن يعفر التراب جبهتك
او يقصم المال والجاه ظهرك
الصمت ان جنح العواء
وفتحت القبور اضلعها.

اه لو ملكت زمام الامر
وملء... يدى ارادتى
ولكننى فرد محدود
لا احيط بكل شئ
تفض لى الحياة بسرها
و ليس لى سوى العذاب

فلتنطقى ايتها المزا مير
لعل بصيصا من النور يبرق!

ما ارخص النصائح... والكلم المعاد
مثلما يضج الشيوخ فى وجه صبى،
يعد و... وراء كلب شارد
«لترعو... ايها الغلام الشقى»
رويدكم ايها الائمون.. الملتحون
هل تستحون انتم ياذوى النهى
ان ماجت حولكم الصغائر
وخرستم.. ولم تفوهوا بكلمة!

الراحل يفوته المركب
وممتطى الجواد يخب به
وليس معى فى مسيرتى احد
لتحترق يارفيقى دموعا
دعها تهمى كالسحب
كالغيث الملتاع الغاضب
فالداء عصى... والزاد قليل
واسوق صراخ، واباطيل

لن تشم ابخرة الملق
فلست ضليعا فى القانون!

خطيبا دعيا، مصقعا...
او عليما ببواطن الامور،
وصاحب صيت ذائع
لن يطفح امامك البشر
فلست فى العير اوالنفير
واعين الحاسدين لا تصيبك».

العاطلون، والمتسكعون
يشبعون، ويتخمون
فلتزن حبات عرقك
تفض بالعافية والفرح.
غبار النوم على الكلمات...
وغباء الحكم البالية
وانت غريب فى ديارك
لا نك اللسان الحق.

لك عينان يا صاحبى
نافذتان، وبراقتان
ترى الشرف الذى مرغ
فى وحل المستنقع الراكد.
تبصر الكذب المنمق
والدهاء المتشح بالحكمة
ترى خسة الزيف البليغ
عينان ثاقبتان يارفيقى!

هل يغمضّ جفنك قليلا
فالناس يلغطون بالفضول
بنفايات الافكار الباهية؟
هل تضع الاصابع في الاذنين؟
حتى لا تسمع النميمة الهائمة!
هل تغلق فمك المرير
فالعلقم... طعم الكلمة
والسكوت يقال ـ من الذهب؟

معارفي لا يحصرهم العد
وقبيلتي كبيرة زمنجبة
وتمزقني الوحدة القاسية
وهاانذا وحيد كالمقبرة
كالساحر الغريب الضائع
ان اخترت الصمت الذهبي
فمن يزمجر كالبرق الخاطف؟
بالالم الصاعق... والفرح العظيم!

عام ١٨٨٩

لا احلق بأشعارى فى الاوهام
ولا اصوغها للهزء والسخرية
تولد فى محراب الالهام،
فأزجيها للقلوب المرهفة
فلتع قوافى... بصائر الشباب
و لتتغلغل معانيها فى الاعماق!

هلم الى اشعارى... ايها الصديق
لتفتح لك الافاق المغلقة
ربمالا تنفذ اليك... لاول مرة.
غريبة عليك هذه الاناشيد
وقد ينأى الناس عنها
ويطلبون غيرها من القوافى!

اناشدكم الا صغاء لكلماتى
فأنا لا ابدع انغامى... مادحا

صاحب الذقن الذهبية
ولا احرض الشباب على الموت
هربا من صوت الضمير
فأشعارى هى العفة... والتمرد؛ الحصيف.

تترعرع الخديعة بين جامعى الضرائب
والكسالى، والعاطلين، والثرثارين
يعرفهم الجميع بلا عقل اومتاع
يعرفهم الجميع بلا عقل او متاع
انهم لا يختفون عن الا عين
لتخرسى الى الابد ايتها الاشعار
ان كان هؤلاء يسرهم انشادك!

ياشقيق روحى المغنى
ان حملت القيثار فى يديك
فلا تعزف الا نغام الجوف
التى تنخر فى موهبتك
ولتقل للناس الطيبين
كلمات تقطر اصالة ونبلا!

عام ١٨٨٩

العقل بارد نفاذ
والقلب جموح الخطى
ينبغى بالفكر الصبور
ان تلجم عواطفك الجياشة.

تنصهر العاطفة والفكر
لدى اصحاب البأس والعزم
الذين يشقون طريقهم،
فى وحدة الباقة وتجانسها.

لا يكبون بك الجواد
فاللهفة بلا ارادة
مثل العتمة فى النهار...
حكمة تلقنها لنا الحياة!

عام ١٨٨٩

الحب نفحة الهية
والجسد شبق الارض
اهيم بك يافاتنتى
وربما هلكت... وتلاشيت.

يغلف الرماد روحى
نأيت عنى... فسلبت حجاى
الناس يحبون... ويكرهون
ولكنك ملكت زمام القلب.

تطير امالى هباء
ويدب الجليد فى المشاعر
ثم تعود نفحة الحب
فتشعل النار من جديد.

عام ١٨٨٩

اواه ما اتعس المصير
تذهبين بكبرياء
منسلة كالص
وتنكثين عهودك
متمرغة فى الخداع
وتنسين الفك.

تفتشين فى قلوب الاخرين
عن حب ضائع
وتسود الدنيا فى ناظريك
مجللة بالخزى.
سلكت دربا لا تنبت فيه
سوى الرغبات الجامحة!

لتنظرى... روحى تئز فى اللهب
اصرخ وتجوب اناتى الانحاء

وتهدر صاخبة ملعونة
موجات النيران والغضب
ذليل مثل الجر و الضائع
وتنسل الحياة من كفى...

من ينبى بما تخبئه الايام؟
وساعتى تقبل كالصاعقة،
وكالقدر لا مرد لها!
ولكننى ما زلت احيا
وفى اوصالى المنهكة
تسرى انفاس الحياة.

لا تعبد الرياحين طريق الحب.
ان مدت لك اسباب البقاء
ربما ظفرت بفيض منه
وان لم تطوقك هذه السعادة
ماذا فى وسعك ان تصنعه؟
تنفرط حياتك فى الحيرة والاحلام!

قاتلة هذه المعاناة
لقد هدت قواى،
ولم ابلغ مرادى
وفى عينى التائهتين
التى تضطربان وتجفلان
يحوم الموت الغاشم.

لتهنئ بالحياة، ولو كنت نائية.
ان صدقت خفقة القلب
لن يغير رغبته مئة مرة
سيمضى شامخا الى الامام
يدوس على الجراح النازفة
وسيموت من اجل كلمة واحدة.

انك لذكيه فهل تستطيعين
انك تزرعى السلام فى حياتى
لا تقولى... ان هذا قدرنا
لو عدت الى الولهان التائه
فليس ثمة احد فى الدنيا
يستطيع ان يلومك!

الدنيا معتمة امامى
تتهافت كلمات العتاب
لم افه بها ابدا!
فليس فى استطاعتى ان انطق
لان روحى عارية من الحياة
اتمرغ فى الرماد... والهباء!

وداعا هل تسمعين انينى
لقد غضضت لحظك الفتاك
عن النار التى تشتعل فى الدم،

4—1732

عن السمع الذى يصيخ... لهتافك
عاقبنى الله ابدالدهر
واعلم ان اميرتى لن تعود!

لقد صوبت سهمك الى السويداء
حذار... فكل شئ مكتوب على الجبين
ولن يغفر لك احد،
خطرتك الظالمة...
على ميزان العدالة
الى ان يدركك الاجل.

عام ١٨٨٩

سلاما ياذات الحواجب الدقيقة
فهذه دمعاتى... تعتم العالم
لم يعرف الكون كوكبا مثلك
لم يخطر على الارض من قبل... ملاك!
سأحدق فى عينيك اللتين بلا قرار
وابحر فيهما بشراعى التائه!

لقد صاغك الله ياحبيبتى
لكى الهج بمدحك، وثنائك
ليس لى غير الوله بك
حتى لو صرت كهلا... ومدقعا
ها انت توسدت اضلعى
وافعمت عينى... بالا حلام.

لا يستطيع الحاقدون والمرجفون
ان يطفئوا فى القلب الملتاع

شعاعك الدافئ، وطيفك المقيم
لا تستطيع النساء المتربصات
والحقد الذى يأكل الصدور
ان تخمد جمرة الحرقة والاشواق.

فمك الانيق... يعبق كالورد
وتتهدل خصيلاتك السكرى
و على الصدر تفاح النهدين
عيناى الغائرتان جفتا من الدموع
حدقى... هل ترين غير الشوق والسهاد؟
فليس لك مثيل فى هذا العالم الصخاب!

تعلمين يا اميرتى انك فريدة
رهيفة ومن المحال التهامك
حسبى ان المس خدك الحرير
فيرتعد جسدى... وينتفض
وانت تشعلين فيه النار

حينما تكونين بجوارى!
وحيد... وانت لم تقبلى بعد
تضيق بنا خيام الحى
ومع ذلك فسوف انقض
واحملك على جناحى حيث كنت

لتستقرى فى القلب الولهان
وامتلكى حياتى... ساعة بعد ساعة.

اقتربى يا طائرى المدلل
لتفى بوعدك مرة فى العمر
انت لا تعريفين الحقد والشح
فخورة... وجليلة القدر.
سأحدق فى عينيك اللتين بلا قرار
وابحر فيهما... بشراعى التائه.

عام ١٨٨٩

كفها البضة... تمسك بضفيرتها
وهى تمشى.. متهادية كالموجة
زجج الله حاجبيها.. بريشته القادرة
هل رأيتم يا احبتى مثل هذا الملاك؟

صفاء المرآة... عيناها الزمردتان،
عيناها الا ليفتان، العطوفتان
تنثران ذوب حنان وفضة
هل رأيتم يا احبتى مثل هذا الملاك؟

التفاحة التى يسكر عبقها
ويتوه فى بهائها الخيال
يزدان بها صدر اميرتى
هل رأيتم مثل هذا الملاك؟

لو لمستها يداى الحانيتان
او شممت انفاسها العطرية

انهمرت السعادة فى احتائى
هل رأيتم مثل هذا الملاك؟

عام ١٨٨٩

قالت لي حنكة التجربة
الجمال لا يطرق الكهولة
لماذا لا توقد في اضلعي النار؟
اواه.. قداندثر مهرجان الفتوة.

اعلم ما تنطوى عليه النفوس
فلست مسرفا في الطيبة
والقلب الذى لا يتسلح بالقوة
هيهات ان يظفر بالسعادة.
من لم يذق هناءات الحب
لا تهزه معانيه وتباريحه
هل ثمة من يستعذب الحياة
ان رزحت النفس تحت ثقل الالم؟
ان غفوت وقطعانك ترعى
هل ترى... صديقك يسوقها لك؟
حتى لو كان نفيسا حقا

وشاركك فى السراء والضراء.
انت سيد مصيرك وقدرك
فاقتحم الحياة بالاقدام
وترفع شامخا وابيا
عن الملق والمداهنة.

لتصك كليماتى آذان
من يعيشون بلا هدف
الدنيا لا تؤخذ الا غلابا
وغير ذلك.. قبض الريح.

عام ١٨٨٩

يعانق وجه الاسى
ويرنو الى افقه يائسا
ويذكر كل العهود
وقد طويت فى اللحود
وان دارت الشمس فى ليله
ترامت لهيبا على ظله
وقالوا بأن القمر
يضئ النهار، ويجلو الصور.
فهل تعرفين جمود الجدار
بوجه الرياح، وذل الغبار؟!

عام ١٨٨٩

تزهق انفاسى الا حزان
انؤ بعبء الذكريات
وتوقد النار فى حشاى
كيف اطفئ لهب الغضب؟
حين لا استطيع ان ابوح لاحد
بما يثقل روحى من الا عياء.

احس بالعار
ويقتلنى الحياء
اتلعثم كالطفل
ان قابلت احدا
اطرق برأسى...
واطلق ساقى للريح.

روحى معذبة ومتعبة
لا اذوق طعم النوم

والطعام مر فى حلقى
قواى خائرة، ومستكينة
وليس بوسعى ان اهدأ

فؤادى يتلظى فى اللهب
يالهى.. من اين لى،
ان اطفئ هذا الظماء
فلتهدنى سواء السبيل
ولتسبغ على السكينة.

ترتعش الاوراق
فى مهب الريح
وتئن الحور بأصوات ملتاعة
وانا سكران من النكبات
وقد خضل الدمع عيونى
وانهمر كالسيل!

كنت معتدا وفخورا
لا اعرف درب المصائب
يجثم الا عياء على صدرى
يندلع مثل النار... احيانا
ويقشعر هذا البدن.. كأنه الجليد.

عام ١٨٩٠

اقبلت ساعاتى الا خيرة
الزمن الذى يقال فيه
«احدى قدميك فى القبر»
لقد منحنى القدر
بحورا وقواف غزيرة
بليغة وشائقة المعنى
لكن القدر عاقبنى
بأناس لا يفقهون
وحتى اعوامنا هذه
فان بحثى وسياحاتى
فى الفكر.. بلا جدوى
لم اعثر على انسان واحد
يحمل رسالة الشعر بعدى.

على كتفى ثقل الدهور
التى عشتها مع الحمقى

وها انذا على حافة العمر
وعبثا اطير الان
على صهوة جواد اللهفة
فقد حان زمن السكينة
حتى لا اذعن للمحن
ولا تتعثر روحى.. او تكبو!

لتنفض ايتها الروح.. و لتستيقظى
لا تقبعى حاملة فى عش الراحة
مثل الطائر المهيض الجناح
لا تستكينى و حلقى فى الآ فاق
وانقضى كالصقر فى اعالى المسا،
ما اكثف الاحزان، وماأغزر المصائب
لكم وددت ان اقيض بها لانسان،
فلتنسابى ايتها الاغانى مرفرفة
معبرة عن المى المر الجسيم.

السنة النيران تندلع من حولى
وانا اريدان اصوغ هذه الالام
ولكن الجهل يخيم كالضباب
فكيف تنفيذ كلماتى كالشعاع؟
الى افئدة الذين لا يعلمون،
والذين لا يجنحون للسلم
واشهرها فى وجه المتعجرفين،

والذين لا يخشون بشاعة الجريمة
احمل رأسى على كفى فى المستنقع
واغرس قدماى فى الارض
لا ابيع وطنى.. او اغادره.

اقعد متلفعا بالاسى
لا اسطيع ان الجم الجهلاء
فقد كتب الشقاء على جبينى
وقطعت العمر مع اصحاب الضمائر الخربة
انتحب فى صمت الوحدة
هذا هو مصيرى وطالعى
لقد خلقت لاكون انسانا
ولكن مثعبى لم يشأ ذلك
فالناس لا هون فى الطعام والشراب

يمشون فى الارض بالاراجيف
ولهذا فى قعر دارى
تسقنى الكآبة والعزلة
فكيف احمل هذا العبء؟
وانصب سورا بينى وبين الخليقة!

لو خانتك امرأتك.. يا اخى
واخذت تمعن فى درب الخيانة

وانت يعلم اسرارها،
فكيف يكون وقع ذلك على النفس
هكذا انا ممزق.. وحزنى بلا حدود.

عام ١٨٩٠

كل شئ فى الدنيا ثقيل تعافه النفس
ولكن الاعانى ترف ابدا بالفرحة
ان صدحت بالغناء الملهم الشجى
بددت غيوم الحزن، وصرت خفيفا كالطائر
فلتنطلق ايها لصوت بمزامير الغناء
ولتنهل من افكارك التى تحوم كخيلية نحل
ولتنهمر كالنهر ايها الدمع الهتون
حتى تفيض الروح.. و تنطلق فى الافاق
هيهات ان يلتقى دربى مع الثرثارين
والجهلاء الذين يلوكون الكلمات
اما الذين يملكون قوة الروح
فتهز اوتارهم اغنياتى.
سواء لدى استجاب الحمقى ام هزئوا
فلينتفض لشعرى وجدان انسان وحيد
ولتمتحن هذه الكلمات المحلقة
الالم الحى.. وتستقر فى الاعماق

الفجيعة مثل الحطب فى النار
تثير زوابع الدخان واللهب
وسوف اودع هذا العالم
وتبقى اشعارى للذين أوتوا الحكمة
ليصغ المعذبون، ومن حرموا السعادة
الى الغناء المضرج بدم الكلمات
سوف تنزل بردا وسلاما ونورا
على من يحتضن النغم العميق.

ليس لى غاية ولا طاقة
فى ان تتزلف كلماتى من لا يستحق
لتضرب فى بيداء الوحدة والغربة
حتى تجد اذنا صاغية، وفؤاد حكيما.
كثيرون انتم ايها الكازاخيون
ـ وقليل منكم من يفقه الشعر ـ
خير لكم ان تغامروا فى الصحارى
وراء الذئاب، من استيعاب مافوق طاقتكم
لا تريدون ان تفتحوا نوافذ القلب
فقد الفتم الحان الطبول الجوف
والتى تنزلق ملساء على سطح عقولكم
فهل اسوق انغامى للفراغ الموحش؟

عام ١٨٩٠

تتضرع روحى للحب
للشوق المعارم والسهد
لكؤوس السم الظمئانة
وعيون العشاق الولهانة.

فلتلتلق بقلبى فى النار
يتضرم فى القاع الدوار
يعثر احلامى فى الريح
جدف.. فالليل سهاد وتباريح!

قطع العمر بلا آهات
انسان يغرق فى الشهوات
لم يعرف معنى الهجر
وعذاب الصد المر!

العتمة حالكة... والعمر قصير
اوقد شمعة حب واحدة فى الديجور

ان لم تمتلك الخرقة فى البرد
فالحب دثارك، ابجارك للمجد!

عام ١٨٩٠

الربيع

يتهادى الربيع... فتحف اشجار الحور
يثرثر النسيم... فى ذوائب الحقول
وتدغدغ شمس البرارى... كل الاحياء.
حينما يلثم الشعاع الارض...
تتعالى اغانى الشباب...
وتنهض الاجداث للحياة.

انعقد السمر الربيعى فى مضارب الحى
حتى العجائز... قد هجروا الخيام
لبوادعاء الطير.. والنجوم... والنسيم
انين الناى يسيل غناء فى الليل
منسلا كالشعاع الدافئ، كالحب
فيتمايل الراقصون ايقاعا، والتياعا

تدعو الناقة بعيرها فى صخب
الشياه تتغو، والطيور تزقزق

تهتز الا غصان الفضية
ويسبح البجع فى الاعالى
ويسرح النحل على الا عشاب
ويرتعش قصب الشواطئ.

ترتدى الحسناوات اغلى مالديهن
يتساءلن فى صياحهن المدلل
عن احلام الشباب العارمة
يفرش الحب المدى بالزمرد
وتشدو جوقة البلابل فى السهول
تناديها القبرات من قمم الجبال.

تبذر كفا الربيع الخضراوان الخير
قوافل الجمال تحمل بضائع التجار
وينتصب مهرجان الحرث فى الحقول
وتمنحنا الارض حصادها الطيب
مرايا المياه الراقصة فى الضوء،
تتراقص فيها اعواد الذرة الممشوقة.
الربيع هبة السماء للكون

وزينة البارى لا تحدها الانظار
رضعت الارض من الشعاع الطيب
فتفجرت خصوبة، وعافية، وثمارا
اغدق علينا الربيع من كرمه،

فترعرعت البادية قطعانا والبانا،
العجائز الذين يرتدون تيجان الثلج
يدفئ مرح الاطفال قلوبهم الهرمة
وتنداح فى زرقة السماء اغانى الطيور
وتصدح اسرابها بالشقشقة والهديل
يرتقى البدر، وتتألق حبات النجوم
ويشع الضوء حتى مطلع الفجر
غزيرا وصافيا كالبلور!..

تتوسل الارض للنجوم ان تغيب
حتى يدفئ ضلوعها شعاع الشمس
لقد عذب الشعاع... الشوق والا نتظار
وها هى خدود الصباح تفرش السهول
مرحبا ايها القادم المتوج باللالئ
النسغ يدب فى الجذور والا غضان!

يطير النسيم فى الفضاء الرحب
منسلا خلال قطعان السحب
يحكى للنجوم لهفة «العروس» وبهجتها
غذبها السهاد طوال ليالى الشتاء
كانت متشحة بالثلج تنتظر عريسها.
وها هى تشتعل شبابا ورباب.

ان حدقت فى الشمس.. عشيت عيناك
انت الذى تعشق القها العظيم

فلتمعن النظر فى الموكب الساحر
ينحدر متشحا بغلالات الذهب
وبقع الدماء تخضب السحب المهاجرة
وتفرش الرهبة اودية السكون.

عام ١٨٩٠

هذا الشباب العابث
يبيع مثله بالدراهم
الفراغ والخواء طابعه
والتفاهات والخصومة مترعه
نضبت مواهبه ، وتجاربه .
يقضى العمر خامل الفكر
قانطا، ومتسكعا.
اتخم شحما الحما
مثل الابقار البلهاء
تحك جلودها فى الخيام.

الشباب نضارة العمر
وذخر البلاد وعمادها
ترن ضحكاتهم بلا معنى
وسافلة احا ديثهم ابدا

يطيرون مع شهوات الجسد
ما اشنع عالم الخنازير!

عام ١٨٩١

من اين له هذا الصلف؟
وهو لا يفكر ولا يرى،
اكثر من ارنبة انفه!
كالضفدع فى المستنقع.

قالوا له جهلت
اجاب «ارادة الله»!
السنا جميعا عبيده...
والا نام فى ذلك سواء.

يتوشح «بالقفطان» الفضفاض
الشيخ المتحذلق، الداعية!
فى صدغية ذوائب الشحم
ويعبث با لمسبحة فى يده.

لحية الجاهل المهيبة
يعشعش فيها الظلام

نبتت على جفان الا غنياء،
والثريد، ورنات الدراهم
ان اوتى بصيرة الروح،
حقا.. فهل راعى الحقيقة..،
تدفئ بشعاعاتها العقل؟
وامتشق الحسام من اجلها!
همهماته الكاذبة غشاوة
وتمتماته لا تجلب الخير
هذا المحتال الصلف
مثل الضفدع فى المستنقع!

عام ١٩٨١

الدماء الشابة تتدفق لهيا
وتتفجر حيوية وقوة
و على جواد الرغبة والامانى
تنطلق كالسهم على حافة الهاوية.

فى شبابنا لا يطول امد الحزن
وليس مرا طعم المصائب
وكل الامال والاحلام
تبدو ملك ايدينا.

لم تتوسل فى شبابك لاحد
كنت قويا، وملهما
لم تخدع تفسك او تنافقها
ولم تعرف طعم اليأس والحرمان.

ما حرفت البخور للفارغين
بل كيلت الصاع... صاعين

ولم يغرق وجهك فى الوحل
كنت رجلا.. لا امرأة معولة.

و لكن الشباب تتصوح ازهاره
ومشاعله لا تتوقد ابدالدهر
فلتأخذ لنفسك بأسباب الحياة
قبل ان يجرفنا موجها العاتى.

ادعوك الا تكون غرا، بسيط النفس
وليشرق وجهك امام ابناء جيلك
فالحية تخفى ذنبها السام
بحيث لا تبصره عيناك!

هل جزاء الاحسان الا الاحسان؟
اذن لتكن عادلا فى ثارك!
فان جاوزت حدك.. غرفت فى الندم
والصبر باب للحق والعدالة.

لتعن الانسان الشريف
فالثقة تتلاعم مع الصداقة
لن يصوق لك الخسيس المدح
ولا تتنظره ايضا من هزيلى العقل.

الوسط الذى يسوده الخداع
يراه الفتيان.. يستانا خالدا

فالشباب لا يعرف الشك
فرؤاه مستبشرة ومتفائلة.

لا يمعن الشباب فكره فى شئ
فالامانى فى متناول يده
وان ضج الناس من حوله
تاه خيلاء، وغمرته السعادة.

القلوب اليافعة تفرد احضانها
مؤمنة با لجميع.. ومباركة
ـ فالمنا فقون لا ينصبون الشراك
ـ وليس ثمة رزيلة فى هذا العالم!

كم تلطخ الكون ايها المخاتل
بأ حابيلك لعجوز صهرته الايام
اياك ان تلمس الشباب الغض
اخضر العود.. كقصب الشواطئ.

انه طاهر النفس، نقى السريرة
ولهذا فانه يؤمن بك
تراك لا تستح من صنيعك
حينما يغفر فاه «كيف؟ كيف؟»

عام ١٨٩١

حينما يأسر الشوق قلبين
وينفعلان فى دهش الايقاع
يتخضبان بالحمرة، ويشحبان
ويستغرقان فى التأمل
وتتلاحق انفاسهما
حينها تأزف ساعة اللقيا.

لندع العاشقين.. ولهانين
فلا معنى للكمات فى لغة الحب.

يضطرب الفؤاد
فى طريقه للموعد
على حفيف الا غصان
التى تبث نجواها.

تختفى... وتلوح
الوجل والرعشة

والخدود متوردة،
والا صابع تتجمد!

تائهان فى ضباب النشوة
يهيمان عناقا، ووفاقا
فى غيبوبة السكر الالهى
اند غما فى لحظة الخلود!

تغطيهما الاوراق الحانية
وترمقهما فى الليل الساجى
هل هى سقسقة خافتة؟
ام نجوى عاشقين!

تحس الاذرع بالنبض
تلتف فى غبطة الحب
ونشوته التى تأسر
تحشى ان ينفلت الزمان!

سرت الرجفة بعد الهمس
واضطربت الاحناء
والعيون الساهمة
تختلج فيها الدموع.

ايها الفكر العيق... يا عطر الكلمات
ماذا تملك هنا من حول؟

ان اتقدت مجامر الدماء.
فلا احد يدعوك، احد يدعوك!

عام ١٨٩١

مرهق من الحب
يا نور عينى
ودائى لا يشفى
عضال... يضرب بمخالبه .

كلمات الشعراء تهافتت
امام جمالك الفاتن
عجز الشيوخ الملتحون
والحكماء... الطيبون.

اغنى لاستدر الدموع
من اعماقى... الملتاعة
وابدا تختلج على شفتى
كلمة رقيقة... ورهيفة.

تلمحين خواطرى ومشاعرى
فلماذا اسهب فى الحديث؟

سوف افتح مصاريع القلب
فاقرئى ماطاب لك.

يعذبنى ان حبيبتى
لا يفوتها حتى الخاطر الدفين
ولكنها لا تسترق النظر
فأنها تشك... ولا يعنيهاشئ!

يركع الخلق والهين
تمرين بهم كالظل
ويعفر التراب وجهى
فلاترقين للمدنف الصب.

اذا انطفأت الشعلة المقدسة
تلاشى النور من العقل
فما اغبى هؤلاء الحمقى..
حين تنضب قلوبهم من الحكمة.

واعلم ان الحب ليس عطاء
ولا منة مفعمة بالجود.
ابث اسراره واشواقه
ربما تسرى الى الوجدان.

تعالى ياحبيبتى متهادية
مثل الطائر السحرى

حتى اعب من حسنك
والثم خدك الوردى.

يمرح خيالى فى عينيك
ويضل زورقى... فى سوادهما
وفمك الدقيق
يبرعم اللالئ.

قوامك لدن ممشوق
وانفك بديع.. فاتن
جسدك كالحليب غض
و مثل سوسن الحقول.

تعالى ياحبيبتى... ادعوك
اسعد باجتلاء محياك
استظل من هجير الايام
فى واحة الحب الوارفة.

يزهر الربيع حين تفرحين
وتحزنين... فيدلهم الشتاء
حد يثك صداح البلابل
ومحياك... نشوة وسكر.

معبودتى... لا تفتعلى الغضب
فمن اجلك ترتخص الروح،

اقدمها قربانا للحب
وانزف اخر قطرة.

فى انفاسك عبق الزهر
والشمس الضاحية اشراقك
ورؤياك توقد اللهفة،
والنشوة... والطهر... والالهام.

كلماتى عاجزة ومنهوكة
لا ترقى لمجدك الا ثيل
لا تستطيع البوح بالضنى
بالسهد الذى يقض مضاجعى.

انت... غبطة الروح
و متعة الجسد
سوى الله جمالك
عبقريا... وملهما.

الجمال منحة المبدع
وهدية البارى للكون
علينا ان نخشع من حوله
كما اوص فى كتابه.

ماذا فى جعبة الفقير
من كلمات الهيام...

لقياك دوائى، وشفائى
وعزائى... فى الحياة الفانية.

كثيرون ياميرتى عشاقك
فمن ترى منهم تختارين؟
سوف يضيع منى الرشد
ان تركتنى للوحدة القاسية!

بسمتك الفاتنة
الاسرة المذهلة
تقطر بالدلال
كينبوع من النور.

الكل عطاشى للثم يديك
وروحى هالعة... ومختنقة
اواه... يامعبودتى... متى،
يشرق لليل بؤسى صباح!

عام ١٨٩١

فى اى واد تهيمين ايتها الروح
بوحي بالحق ولو مرة فى العمر
دائبة البحث، والركض، والخفوق
فلنواجه بعضنا ـ العين فى العين ـ
الفخور تجرى من تحته انهر الثناء
التى يملؤها الناس بكلماتهم
ولعمرى... لا طائل من هذا المجد
ان كان... اعمى العينين.
وهل تجدى الحكيم التحايا،
التى يبوح بها عديمو الشرف
والذين لا ذرة لديهم من ضمير
لن يطرق سمعه، سوى الهراء.
مثل المياه الراكدة العفنة
تأسنت افكارنا بالنفاق
ما اجدر العادلون والشرفاء
بالاحترام الخالص والاجلال

هنا تشترى الكلمات
وتزهق الا نفاس برخص التراب
يلتفون حولك بالملق والنفاق
ويدورون مهمهمين كالنحل
الخداع الفظ.. يسوق البهجة للسمع
ما اتعس السأم الذى لا نهاية له
هل تسمع احاديث الغرام من بائعات الهوى؟
ترن النقود... حينما يخفت صوت العاطفة.

لست عبدا لكلمات الرياء
ولا اريد مجدا زائفا
الناس يمتهو يهم الخواء والشر
فهل ينقذنى من هذه الاحزان سوى الموت.

الحياة الدنيا مثل موجة
تضطرب وتتلاشى كالومض
ان كانت سعيدة او شقية
فهى مفعمة بالسم القاتل.

عام ١٨٩٢

تمتد ظلال النسيان
وتغوص الذكرى فى الهوة
الذكرى المرة والحلوة
ويضم القبر الانسان!
آمالك كالنر جس غضة
كالنور تموج با لفضة
فتأمل كيف نكفن موتانا
ان حاقت صاعقة القدر المنقضة!

يا كم طرت وراء اللذة
تجذبنى الالوان الفذة
وها أنذا القى اللوما
كانت قد راقت لى يوما!

تروى الايام المتلافة
أن خلود النفس خراقت

تحكى للناس القصة
لكن الراوى... لا تقتله الغصة!
عبثا نصغى... ثم نعود،
للقهقهة الجوفاء...
والهمهمة البلهاء...
وكأن المثوى لن يسعى فيه الدود!

عام ١٨٩٣

ها هو الخريف يوشح حياتى
فكيف امسك بالعافية الهاربة من يدى
افكارى تزدهر.. كالصيف المورق
ولكن هيهات ان اعيد الربيع.
ينهمر الثلج فى داخلى الان
فكيف ينبت الزهر فى الصقيع؟
وا علم اذا اتقد المشعل فى افؤاد
فلن تطفئه زوابع الثلوج واعا صيرها.

اذا كان الانسان ضعيف البصر
فكيف يرشد مهيضى الاجنحة؟
من يأ نفون من المعرفة
وليس لديهم سوى الهدف الحقير،
لئيمة وبا طلة كل صنائعهم.
ثمه اناس كالذئاب الجائعة
طفيليون فى الولائم والاعراس

يتلقفون العظام والشحم
يتسلقون، ويعيشون كالذباب،

الذى يهيم ويطن على طعام الغير.
خل سبيلهم فها حكماؤهم
وشرفاؤهم يتباهون كذبا
الخسيس برأيهم هو الانسان
والهادئ الطيب جبان
فكيف اعثر على السعادة
فى هذا العالم الغريب؟

عام ١٨٩٤

قلبى يفيض بالخزن على الشباب
ينتابنى الغضب من ادعائه وضياعه
فقد القدرة على الابداع والاستقامة
ها هو ينهب، ويسرق، ويعيث فسادا
لا يفزعه الشر، ولا يتخلل الخير روحه
ولا حد لديه بين الفكر والايمان،
يبيع قسمه، فالجياد الفارهة،
والموا عين المليئة بالطعام.. كل امانية
من يستهوية هذا الشباب الفارغ؟
اية حرف يمكن ان يجيدها؟
ان كان يقضى حياته مخادعا،
مخاتلة هنا... وصراع هناك.
مجتمع يفتقد الثقة والعدل،
ضميره مرقع كالخرقة البالية
فليقسم الشباب بروحه التى باعها
فما من احد يصدق هذا الهراء!

عام ١٨٩٤

يتناجى المحبون بلا كلمات
باللمحة... والاحساس العميق
فلتؤ من بالشباب، او تسخر منه
حينما يتحرق فى لظى الحب!
فقد عرفت لغته القديسة
تخطف الابصار وتضرم النيران.
ادركت اسرارها الخفية
وغدت نائية... بعيدة المنال.

عام ١٨٩٤

اندثر عهد الطفولة فى زوايا العدم
وا قبل الشباب العاتى كموجة عارمة
ثم انداحت فى عباب الزمن
وها هو المشيب يغطى مفرقى
من يدرى ربما تكون خال من الشرف
وينست، وخاب املك فى الخير العميم
والان هويت الى لجة القلق، والا ضطراب
وربما يكون الامر شيئا اخر؟
لقد قتلت نفسك
مثل الناقة التى تقضى عمرها
بين مرابض الماشية
وهى تحنو على الانعام.

عام ١٨٩٥

ربما تفنى الطبيعة، ولكن سيبقى
الانسان ابدا
وهيهات ان يعود من رحلته للدار
الباقية
الجهلاء وحدهم يطلقون الموت على
«الرحيل»
على فراق «الانا» للاشياء.

كثيرون من يستعبدهم المتاع
وهؤلاء مصابون دائما
هل يمكن ان نقول مات فلان
ان خلف بعده كلمات خالدات.

ومن الناس من لا يلقى بالا لما
يحيط به
من ضروب العيش الفانى

ولكن ادراك الحقيقة ليس سهلا
لمن لم يؤت دقة الحس، وعمقه .
محال ان تعشق الدنيا والاخرة
فالارض لا تختلط بالسماء!
يود ان يقول لسانى من تسلبه الحياة
اللب ليس مؤمنا، ولكننى مرغم على
الصمت!

عام ١٨٩٥

«ماجيش» ياخت روحى... كفاك نحيبا
لتتساندى.. فى العاصفة المرعبة
ولا يسمن عذاب الموت
قلبك... حتى القاع!
تذبل ازهارك اليانعات
وتعتم روحك من وقع المصاب
اواه.. عاجلا.. او اجلا
سنذوق هذه الكأس المرة
لست وحيدة فى لوعة فراقك،
للالف، لست وحدك ابدا!
شقيقة روحى... قسمتنا
هذا الخزن المقيم
فلتذكرى ان قدر الانسان
هو الموت... منذ مولده
لو كان عظيما او خاملا
فالمنية تسوى بين الاسماء.
سوف يحين قضاؤنا المحتوم

ويغلق الصمت علينا ابوابه
من تراه ينتصر على الموت؟
الذى يستعبدنا!
العالم.. والازمان كلها.
خاضعة له ، وخاشعة ابدا

اعلم يا ماجيش انه كان ربيعا
مزدهرا بالحسن والاخضرار
ولكنك تنتحبين بلاجدوى
فدموعك لا تعيد الذى غاب.
حانت الساعة، ولف الصمت الغناء
ولن ترتعش الاوتار بعد!
لا يلوح فى الافق ظل نهار،
شهى الضوء.. يتلالا
يزخر العالم بالالوان، وا لجمال
ولكنها تشع.. لتحتضر!
خادع هذا العالم، وسراب،
ضوء القمر على الروابى.
تقتلنى عصة الاحزان
وارزح تحت ظلمتها الكثيفة
وانت بدمعك الهاطل يا ماجيش
لن تطفئى لهب المصاب!

ضاقت الارض امام صقرك الفتى
فطار الى الاعالى صوب الشمس،

اختار الموت واسطة العقد
من ابنائى وزهرة الدار
اواه ما انقل الحسرة.. ما اثقلها
ما اتعسنى بين الاحباب!
كفكفى دمعك باماجيش ورحماك
بأ بيك، وامك، والا قربين.
كم هو قاس هذا القضاء الظالم
فلتجمعى شملك وشتاتك.
النفس سكرانة بالعذاب
اواه ماافدح المصاب!
ما اجدر ان يرحم بعضنا البعض
فقد اصبحت افقر من فقير.
اواه... تقتلنى الحسرة والبين
وابحث عن ابنى سناد
ولكن اين هو؟ اين؟..
قريبة من القلب هذه المصائب
فلا اكاد اعرفه من الوجوم؟
خطبنا ثقيل، وجليل.
بنى الحبيب لن يفيق من سباته
لقد اصبحت غريبا بين الناس
وحيدا الى الابد
يا ماجيش يا شقيقة روحى.

عام ١٨٩٥

اى دمع مر... يا رب
شئت أن تقدره لى
غادرتنى امى الحبيبة
وقطعت طفولتي فى النشيج
النار المشتعلة فى روحى
تشوى بدنى
والالم القاتل لا يطاق
ابتهلت للسعادة سنينا
ثـم قطعت طريقها الى
رباه... قد علمتنى الصبر
وانا ما ازال بعد فتاة
وحكمت على بالفراق الابدى
رحل حبيبى «ابيش»
فكيف احتمل... اواه
ذبلت ازهارى الناضرات

واصبحت عودا يابسا
صخرة الهم قسمتى
ويلى قد اصبحت ارملة
«اثنان وعشرون ربيعا» من العمر
ويهجرنى حبيبى، فياللقسوة
لم يرسل الى القدراياما صافية؟
كلها معتمة بالسحاب الجهم
النار تضطرم فى اضلعى
ليس فى مقدورى ان الجلد
الزمن الذى ولى... لايعود
والحزن الهائل لا يجدى
تبددت احلامى هباء
وتمزقت روحى بددا
وذرت الرياح حبى قبل الاوان
وسأغدو وحيدة مثل قطرة الطل!

ابدا... ما جففت دموعى
وجرحى لم يندمل
كان بعيدا عنى حين رحل
فلم الثم جبينه مودعة
الكلمات التى لا تقال
تسحق صدرى، تؤرقنى،
ماظل ينبض لى عرق
فسوف اغرقها... بدمع العين!

لماذا كتبت على هذا الهم؟
هذه الحسرة التى لا تضمد!
وجللت حياتى بالضباب
ورميتنى فى المتاهات
والافق الاصم الشاحب
متلفعة بالسواد والهموم
مطرقة الرأس، خفيضة الصوت
فى المنزل الخاوى المقفر.

نبتت الحشائش على اثار اقدامه
كيف اعبر عن افكاره المنيرة
التى كان يستهدفها،
عن احلامه ... وخلجات فؤاده؟
وضميره الحى المقدس!
كان زوجى حصيف الفكر
فطرته التواضع، والعدل شيمته
لا يسوق المديح او الزلفى لا حد
كان وفيا وعفيف النفس.

ولت السعادة الادبار
وخيمت الحسرات والمصائب
على القلب حداد، اسود كالليل
وهيهات ان تشرق الشمس بعد!
سوف ابوح للجميع، واحكى آهاتى

ليصغ العالم الى دمعى الهتون
حتى يعلم ان التعمات الكثيفة
قد حطت، وحجبت النور للابد.

جرى نهم الدموع المشتعلة
فمن اين لى ان اوقف جحيمها؟
انتظرت السعادة فلم تقبل
وعشى تناثر فى صقيع الكون.
ان كنا نعبر العالم مرة واحدة
فلماذا يخيم الظلام... هكذا؟
مكتوب على الجبين ان مسيرتى
حتى القبر فى درب الا لام.

عبثا انادى المنية
وهى تصم اذانها دونى
الا تعلم ان ارملة مثلى
ليس لها ـ من الان ـ سوى العذاب؟
ينتا بنى الحنين والشوق
ولا قبل لروحى بالجلد.

حينما فاضت اخر انفاسك
اطفأت شمعة الامل
المنية وحدها هى الخلاص،
والتى ستبدد العتمات

دائى العضال المر...
ينخر حتى العظام
و ليس له دواء
منذ طفولتى الاليمة
تظلنى شمس سوداء.

كان شعاعا لظلام ليلى
وهاهى الموجات السود
تغرق حتى النهار
قص القدر جناحى... فلن اطير بعد
لانه لا غد لى.. ولا آفاق.
مثل الحلم طوق حياتى «ابيش»
وكما تبدد الاحلام غاب عن الوجود
لا اطيق الفراق ساعة من العمر
فكيف اكابد الامه مدى الدهر؟
كيف املا الفراغ الموحش؟
وجراح قلبى لا بلسم لها.
كان شمسا تدفئ ارض اجداده

وهو بعيد ناء عن الديار
لقد انحدرت من قمة الامل
الى هاوية الا نين واليأس
كنت املك كل المسرات

كل الا فراح والاحلام
وبستانا اخضر...
فرت التعمة... وبقيت السموم!

عام ١٨٩٥

تدق الساعة وهى تشيع مواكب الزمن
ها هو ينحدر عبر وادى العدم
غالية هذه اللحظات النابضة
لانها لن تعود الى الابد
صوت الساعة المهيب
يرفع راية الموت
والحقيقة التى تقول.. كل شئ زائل
لا يعود القهقرى.. هذا الزمن الضائع
تن، تن، تن
ما اعمق هذا الصوت
والحياة تلفظ انفاسها
ما ابشع هذه الحقيقة
ندفن رؤوسنا ـ ازاءها ـ فى الرمال
تمر الايام، والشهور، والا عوام
وفجاة نواجه الكهولة الكلحة
ليس ثمة من خالد فى هذه الدنيا

سوى الخالق المبدع..
وهو السند والملاذ.

عام ١٨٩٦

يحمل الانسان طائر الروح الملهم
حينما يفرق فى خضم الافكار المسهدة
والاغانى... ظل هذا الطائر العبقرى
ترف بجناحيها الرهيفين... كالاحلام.

مرة يحلق الطائر.. او يتموج كالنهر
فيوقظ الفكر... ويلمس اوتار الاحساس
الاغانى تضم فى حناياها خطرات ممتعة
تتجسد فى الصوت والنبرة، والايقاع.

تثير الاغانى القلوب الغافية...
وتهدينا لدروب الا فراح واحزان
وتهدهد ارواحنا... مثل الاطفال
فما اقل من يتفهم اسرار الغناء!

لماذا تدوى هكذا بدانة مقاطعنا
كاننا نساق الى الانصات عنوة؟

لماذا لا تتهادى الا غنية هادئة ومشجية؟
ينبغى ان تنسج اغانينا... وتتناغم.
يا كم تضم الالحان العميقة الساجية
من كنوز معطاءة... وفلسفات،
ومعان، وخبرة... وافكار
تكتنز بالخطرات والاسرار!
اسوق قوافى.. وانسجها للطيبين
فلست شحيح الكلمات او فقيرها
ابعث البهجة فى قلوب الاذكياء
فتدرك ارواحهم المشتعلة ما وراءها!
الحزن مطاف الحياة... وشاطئها الاخير
ستكون ملحمة... مفعمة بالمسرة،
لو سرت فى كيانك الاغانى الاسرة،
ورفت بجناحيها... كطائر الروح الملهم.

عام ١٨٩٦

حينما لا يخنق الروح شئ
وتتخفف من اعباء التراب
تتماوج في وجدان الشاعر
نغمات الالهام الالهى
حينئذ يتدفق النغم وينحدر
صاخبا.. كالانهر الجبلية...
تستيقظ الروح من غفوتها
وتفيض غواطفها ـ بلا شطان
ساعتها تتجمع كل قواه
تنهمر كلماته .. وتبرق،
و تجيش افكاره الغنية
وينبهر النهار بالضوء المقدس!
وحينها يتامل في الماضى
يزيح بأ نغامه تيار الاباطيل
ويهب نفسه للابداع والخلق
وفى وجهه المتعب عينا صقر

يلقى الشاعر بلعناته الصاعقة
على الظالمين... والمستعبدين.
تحيق بالعلم الهموم والكوارث
فمن سواه يحكيها للبشر؟
كلمة الشاعر العملاقة الغاضبة
تنصب محكمة الشرف والعقل
يكتب ما يمليه الضمير..
مكتسحا... كل الاوشاب.

عام ١٨٩٦

تركض السحب فى السماء
ثم تنهمر مطرا غزيرا اسودا.
يفيض القلب بالحرارة والشجن
وتبكى اللوعة فى تلافيفه.

يسح المطر... فيخضوضر العشب
وتتلالا الانهار بالبسمات
ولكن رأسى تثقلها الهموم
والحزن العميق يعتصرنى.

عام ١٨٩٦

كاذب من يحمل على كفه المديح
ويقدم المكر على طنين الكلمات
لتكن رجاحة العقل، وعرق الجبين
عمادك اذا توثقا... والتحما
لا تا سرنك الوشايات، و تستعبدك
او تفخرن بالزلفى.. زالتملق الكاذب
اتراك ترضى بالخداع الذى يضلل؟
ان كان رنينا اجوفا... وسرابا؟!
لا يقصمن ظهرك الظلم.. ان جثا عليك
ولتكن اهلا للسعادة ان اقبلت
لقد طال بحثك عن لؤلؤة الحكمة
فلتتأمل فى اعماق القلب الغائرة.

عام ١٨٩٧

تشرئب زهرة الثلج فى الربيع
تسائل النسيمات عن قدرها
تأمل ان تكون اعلى من البلوط،
السكران من حرارة الشمس والربيع
ارتعدت الزهرة مع حشرجات الصيف
ولم تبلغ قامتها.. حتى طول الحشائش
وانا ايضا... حلمت فى شبابى
بالا منيات التى لا تطال!
التجا عيد تزحف.. وسيفى مثلوم
وصوتى خائر.. ودمى بارد كالموتى.

عام ١٨٩٧

الا غانى تهدهد النفس
وتحنو على البدن المعنى
تغمر الفكر بالحيوية
لو احببتها... مثلى!
حينما ارهف السمع للاغانى
استمد من دفئها قوة
انسى الكائنات من حولى
واخرج من هوة ذاتى
مثل مسافر فى صحراء
متعطش للنبع الثرار
انس الذعر والمتاعب
كأننى لا اعى ما حولى
تثير فى الاعماق النائية
الفرح الذىَ كان... والا حزان
تبعث تصورا بالمتعة
وتداوى الام القلب.

كأننى اصيخ الى صدى الحياة
امتلك مصائر احلامى
وتتهادى فى خاطرى ذكريات
كان الماضى قد غمرها
تنبعث المواكب من جديد
فأستغرق بكل مشاعرى
احس بأن ما يدور حولى
حقيقة ألمسها بيدى.
امتلئ ايمانا وسموا
فأكف عن احتقار المنافق
اراه فى ضعفه البشرى
فأى شئ لم اجربه فى حياتى؟!

عام ١٨٩٧

ايه يا لغة الكازاخ... يا زخم الشعر
انت الهام الروح المتدفق
شعاعك الذى يلمع كالنصل
كأنه البرق الخاطف قبل العاصفة
تمزق عبر السحب الدكناء...
هيهات ان يعى اسراره الحمقى!

وهج الا الجريئة والصدق
يحيل لسانى الى سهام ثاقبة
لا يدخل الشعر بقواه فى المعارك
يتألف بكل عطايا الرب
ولكن شعبى يغط فى النوم
وهل تراه يوقظ النحاس الموتى؟

الكلمات البينات ذات الدلالة
تضيع هباء كالاصوات الخاوية

ولكن الاعصار يهدر فى عروقى
حين تفيض على الشط المشاعر.
من الناس من يهزج باشعارى
ولكنها لا تزال بعيدة عن الادراك.

عام ١٨٩٨

ان ركضت وراء رغائبك
صار قلبك.. كالطلل
يتبدد شعاع العقل
وتغدو مثل السائمة
افكارى تنحدر من الاعالى
لنغوص فى الاعماق البعيدة
يا اصدقائى.. ارهقت روحى
وها انذا احن للنوم الطويل.
حين تكبح جسدك النهم
تأسف على مسكنته
وحين تتعدد شهواتك
تتبعثر فى الصراع
الهوام لا روح لها
والقطعان تمضغ الخواء
جدباء وباهتة حياتك
لو تسكعت على الشواطئ

من تحيط به لجة الظلام
لا يقال انه .. انسان
شعبى غارق فى الجهل
لا يدرك مغزى الحياة.

عام ١٨٩٨

تتابع الايام متشابهة ورتيبة
وانا انشد السكينة بلا جدوى.
وتومض الافكار طائرة بلا اجنحة
وهيهات ان تلحق بها الرياح.

عام ١٨٩٨

متها فتة دقات قلبى كأنها لا تسمع
ويضيف صدرى بهذا الحافق الحائر
وفجأة يتدفق الى شراييه الدم الحار
ثم تصبح احلامى مفزعة الليل البهيم.
جثم على المرض اللعين... باعداد لا تحصى
جف معينى وناخ على كاهلى الكدر الثقيل
وحينما ارى اناسا.. شحيحى الادراك
اشيح بوجهى متقززا.
قلبى ظمآن الى الايام البيض التى ولت
وينسج حاضرى اللعنات والاكفان
فاحلم حينا بالنوم والراحة الابدية
او تتردى يائسة تبحث عن الالم الحاقد
وتستدر الدمع وتترقرق بالكآبة
مستغرقة فى العلل التى لا شفاء لها
او تطمرها.. وتخفيها فى الاعماق البعيدة
متماسكة حتى لا تغدوا ضحوكة للناس.

دقات قلبي متهافتة لا تكاد تسمع
يرتعد الفؤاد وتنفتح امامه العلل
وفجأة يتدفق الى شرايينه الدم الحار
او يتهاوى كأنه قد كف عن الخفوق

عام ١٨٩٨

كانت دماؤك تتضرم فتوة
كانت أعراسا ايام الشباب
جذلان والحياة مزهرة حواليك،
والناس اصدقاؤك من اول لقاء.

صفاء الروح والحب يظلانك
والندامى كالمعصم.. كالاسراب
ترى... اتعود هذه الايام الجذلى؟
كنا نتنفس فيها املا... وسعادة.

ايتها الايام الذهبية.. اين انت؟
ياطالما ماج الفرح فى نهر الحياة!
كان طيوفها بالامس... هذه الذكرى
ولكنها تنزوى بعيدا... فى كهوف الزمن.

لتتضرع.. ولتملاك الحسرة
فهيهات... ان يعود ما فات.

مضى الحب... فلن تلحق به ،
وولى الاصدقاء.. فلن تراهم بعد!
هات دمعا... لعينى الجامدتين
والصبر... حتى اتماسك.
لو كان لقلبى بلسم ما
لا نتزعه حتى من جراحه !

عام ١٨٩٩

كم هو موحش هذا العالم
لقد مزق قلبى بضراوة
ولم لا يوغل بسكينه فى حشاى؟
لو القيت بالجميع من ورائى.

غاب الاحبة فى ظلام اللحود
وباع الاخرون انفسهم للشيطان
وليس لى فى جزيرة الحياة احد،
وطوفان الاعداء والطامعين يفغر فاه!

لا يلوح على البعد امل
وشبح الشيخوخة يظلنا
المر فهون والتافهون...
مثل الرمال الرخوة.

ايه ايها الممزقون والحزانى
تأملوا فى الالم الذى اغص به

وتعزوا من الاهوال التى تصرع القلب
وتحيلة مخضبا فى اشلائه !

عام ١٨٩٩

9—1732

فى دارى كلب ربيته
عض بنانى يوما
ومسكت القوس لا طلقه
كاد السهم ينوش العظما.

عام ١٨٩٩

لماذا يفتر ثغره
ان كان قاسيا حقودا
يغير جلده كل يوم
كانه الحرباء المتلونة
يرتدى مختلف الازياء
حتى يجذب الناس اليه
واصبح وجهه صارم الملامح
يحمل معالم الرئاسة والاستعلاء
من اول لقاء... يضغط على يديك
يلتف حولك متملقا... ومداهنا
وحينما تدير ظهرك... يوما
يصرعك بسلاح الغدر.
اليوم هو عبدك الاسير
محتشد للتضحية والفداء
اليوم يتوقد كالنار
وغدا يخبو... كالرماد

يبصق على كل حقوقك
ويهز ذنبه ... كالشيطان
كلماته بيضاء كالثلج
واعماقه سوداء كالهباب.
مسكين يعانى سكرات الموت
لا حول له ... ولا طول
المرض يسوقه للهاوية
والقضاء.. ينتقم منه.

عام ١٨٩٩

قامتك شايخة.. بالزهو
كأنك تبلغ الجبال طولا
كالقصب ينهل من اشعة الشمس
حينما يغطى العشب الوهاد والنجاد
اربعون عاما ضجت كالتيار الهادر
واقبلت ايام الحصاد والهشيم
فى القيظ والصقيع.. تضرم وارتعد
قلبى.. لكنه لم يسقط صريع الوجل.
ما خر مفزعا.. اوكف عن التغريد
حفرت اخاديد الالم والغناء فى وجهى
و مثل السنابل التى حان حصادها
تدعوك الارض الى حضنها البارد
لا تستسلم الروح للاقدار
كأنها خالدة على هذا الثرى
ولكن لمنية تقطفها بالمنجل

فلتتأمل جوهر الحياة والمصير
اليوم رجاء... وغدا هباء.

عام ١٨٩٩

وحيدانت ايها القلب
فلا تبحث عن صدى لا نغامك
الصمت... اذا اغتربت الافكار
ولم تجد لها مسكنا!
ان لم تجد الروح لها مجيبا
فمن الجور ارغامها على البوح
فالى اين تقودنى ياقلب
وتحكم على بالحرمان
السعادة والصداقة والسكينة
ارخصت قيمتها ايادى المنافقين
التى ارهقت بالظلم
وتردت فى الخداع
ستحين ساعة القصاص،
التى لا مناص منها..
من اساتذة الخيانة..

العراة من الشرف
من يقاسمك الماسى
لو اعياك البحث عن الوفاء؟
كيف تبترد احاسيسك
ان خنقتها الوحدة والعلل؟
النذالة حطت رحلها
فمن يستحق اشفاقك؟
والناس يتردون فى الشح
ويركعون للمتاع الفاني!
الكلمة الساقطة المباعة
لا تنفذ الى القلب الشريف
وصغير النفس... اللئيم
لا يملك لغيره نفعا...
عبثا ترتعش كالمنار
وترهق اوتارك...
فماذا يجدى الغناء؟
ان ضاع الحب والاصدقاء!

عام ١٩٠٠

حينما تتلاشى الظلال
وتذوب جوانبها... وتتحد
تنطفئ شعلة الشمس
وتنحدر فى الافق الغربى
تقرع اجراس الحزن فى الظلام
وابث نفسى الضعف والشجن
وتتعرج امامى الذكريات
امد عليها جناحى الواهنين
ارتقى الماضى... وادعو مواكبه
وانقب فى الذاكرة المعبة
عن ايام مشمسة
وامال... لم تخب
الاشياء التى لم تعلق بالخاطر
ضاعت فى متاهة الزمن
وانت تسمم روحك
عانصا فى جرح لم يلتئم

وحيدة في الصحراء
تنتحب افكاري...
عبثا اعتصر الذاكرة
ابحث عن ايام مشمسة
بذرت في حياتي الخير
وكان حصادي شرا
سوف اقبع ايامي الا خيرة
في زوايا السكينة والعجز.

عام ١٩٠٠

صوحت وريقات الامل
وخانتنى امالى العراض
خينما احدق فى الايام الغابرة
يخر فؤادى صريع الرهبة!
الحياة التى فرت لم اقطف ثمارها
ماذا لواعرف الاحلام الخادعة؟
تأمل فى ساعديك الواهنين
يضيق صدرى، ولاينطلق لسانى
ارأيت الى السراب فى صحراء قفر؟
الناس غرباء، وزائلون كالظلال
متماثلو الافكار والمشاعر الجوفاء
لكن السكينة ـ اصدقائى ـ فى الضمير.

عام ١٩٠١

آن لى ان ابصر بفكر حصيف
ما هى حقيقة الوجود ومغزاه
بعد ان ولى الشباب كالسراب
كانه مياه كانت تلمع من بعيد.

لاتستأثرن بلبك الكلمات المعادة
فلا تجعلنها تأسرك بقيودها
ولتتعفف عن الخواء التا فه
ولتصن روحك... كالدر الغالى.

ان كان بيد الحق امرك، وهو الحكم
فلن تبيع روحك الحرة او ترهنها
سوف تنحنى لحبات العرق، و تجلها
وتعلم اين الصداقة؟ وا ين العداوة؟

قوة البصيرة... شعلة تضئ الظلمات
ان وهبتك الطبيعة اياها... فلن تهان ابدا

هيهات ان يعرف الجاهل الغث من السمين
وفا قد الادراك... يحدودب... وتعييه
الكهولة!
عفيف النفس يترفع عن المتاع الزائل
والخسيس يحشر انفه فيما لا يعنيه
ومن السخرية... ان يكون تعس العصير
منبوذا... يتردى فى هاوية الفقر والمذلة.

عام ١٩٠١

ترود دنيا الحب والصداقة
لشد ما لاقيت من جحود
اللمحة البريئة المشتاقة
همسيسها حلو بلا حدود!
فازرع ان استطعت فى الطريق با قة
واجمع لها ما شئت من ورود
يخب فى الصحراء خطو النا قة
ولا تبالى فى الدجى مزالق الصعود
ان رحت تبكى نائيا قد شاقه
بأن يراك كالمنار من بعيد.
الشعر ليس ابحر الرشاقة
الشعر نفحة الحياة فى الوجود!

عام ١٩٠١

تزدهى الفراشات بحلل الضوء الشفيف
اليكن السلام من الزهر النعسان
ولكن العاصفة تزمجر... منذ رة با لشر
وتسحقكن... وانتن لا تملكن فرارا!
فى هذه اللحظة الخدود... فقد مات
انسان... وتزغرد القلوب فقد ولد اخر
من يقتله الشك... اتقتله العجلة
ليعلم ان الارزاق قد قسمت والمصائر!
الحياة قهقية وانين، تضرم ودخان
فلنفرح بطرح الاوزار عن اكتفانا.
الزمن يسوق الجميع... الى المنقى الرهيب
فاغتنم ايامك... قبل ان تحين المنية.

عام ١٩٠٢

يتألق نهر السعادة فى القلب
كيف له ان يخفق دون اعراس
حينما تخمد جمرة الاحساس
فليس ثمة ما يبهج الانسان
القلب نبع الفرح والا سى
والعقل عرس الضمير والشرف
يتوجان صاجهما بالمجد
والتجاسر والادعاء يطيران هباء.
فى رعشة الشيخوخة يبرد اللهيب
ومن اين للرماد ان يبعث البهجة؟
سوف ترغمك الايام على الاصغاء
وانت تعانى من ذل العجز.

عام ١٩٠٢

حينما تدمدم البروق
وتزمجر العواصف
وتصخب آلهة الرعد فى السماء
ترتدى الارض حلتها السندسية
ومثل الصاعقة التى لا ترحم
من يعترض طريقها النارى
تخترق الكلمة شغاف القلب
يعرف شرفها اولو النهى...
من يقدسون جلالها
وما تشعه من مضاء
فى تبتل... وخشوع
وليس التافهون من ذوى اللجاجة
ليتهم يتخففون من الاوزار
التى تنؤ بها الظهور
ولكنهم يسترخون كالسائمة
يمضغون الخمول وا لخور

10—1732

اية حياة هذه!
واى اناس اولئك؟
واحد اخرق
وا خرلا يلوك سوى الخواء!

عام ١٩٠٣

اشعار من مختلف السنوات

* * *

بالله ... خل اوتار القيثار
لا تثر اشجان النفس الولهانة
لا تعذب روحى
فعيناى المغرورقتان لا تريان النور
لا توقظ ذكرياتى الدفينة
فى رأسى المشجوج بالاوجاع
والحزن المتراكم كالصقيع
حتى لا تدوم افكارى
مرحى... ان اقبلت يحفك البشر
وحدقت فى مقلتى
واطفأت اللهب العارم بحديثك
وخففت من اسقامى.
الرقة التى تفيض منك
تخمد النار الحا قدة

مناجاتك الهامسة ياحبيبى
تبدد احزان النفس
حينما تقبل يحفك البشر
تجرو باللطف احزانى
وتتقد روحى صفاء
وتلتئم الجراح النازفة
خارت قواى ومشاعرى
فى الفراغ والترهات
فلتمد لى يديك البارتين
ولتمنحنى معجزة الالهام.

* * *

افكارى الها ئمة تنبش الماضى
وتتوالى ذكريات عميقة.. وصامتة
يخبو العمر.. يوما فيوما
اسائلها.. ولكنها خرساء
الى اين؟ وكيف الوذ من شبح النفس؟
اكبح جماحها.. واخفف غلواها
انا المذنب والنذل
خطواتى كانت تنز حقدا
ومثلما لا يحصى عدد الرمال
فقد اعيتنى الذنوب
احدق فى ظلمة القلب
فأرانى مسربلا بالعار

عاجزا عن نزح البئر
الذى يعج بالظلام
سوانى الله طاهرا
ولطخت جبينى بالذنوب
لماذا اعنف نفسى هكذا
وقد ضربت ـ فى الدنيا ـ حُبط عشراء
بعد ان نأى عنى الاخلاص والوفاء!
وبذرت حياتى مثل الغبى الاحمق
اصغيت الى صوت المجد والعقل
ولكننى سلكت طريقا اخر
حتى تناسق الكذب والخداع
كالعقد اللؤلؤلى على عنقى
اهدرت عبقريتى وابداعى
وضاع شرفى هباء
ظمآن الى بئر الخسة
مثل الغراب الذى يفرد جناحيه ناعقا
انصت الى المديح الخاوى
وا تباهى فخورا به
خدعت كل الاذكياء
حتى اطلقوا داهية الدواهى...

اباى قونانبايف
(١٨٤٥ ـ ١٩٠٤)

لتتأمل فى اعماقى المتأججة
فأنا وتريقى.. غريبان عليك
لقد خضت المعارك الضارية
لانير الدرب للاجيال القادمة

توجه اباى بكلماته هذه الى جيل المستقبل. وبهذه السطور النابعة من اعماق القلب شق الطريق الى المستقبل النير من الماضى الحالك.

و حمل اباى مشعل الشعر الساطع فى ظلمة الجهل الذى خيم انذاك على سهوب كازاخستان، وهدى شعبه الى الافاق الجديدة التى كان ينبغى ان تشرق منهاشمسه.

لقد كان اباى احجية ولغزا بالنسبة لعصره ولبيئة الجهل التى عاش فيها. ولكنه بالنسبة لنا حقيقة بينة ناصعة. فهوذؤابة الادب الكازاخى، وهو شمس الشعر الكازاخى. والان حيث استعاد هذا الشعب وطنه الحقيقى، استعاد الشاعر شعبه

الحبيب المنور. واصبح اباى الان عزيزا على كافة شعوب وطننا الا شتراكى العظيم.

«لا تلمنى» ـ قالها اباى مخاطبا الاحفاد. ولكن السوفييت لا يلومون الشاعر ولا يؤنبونه، بل يبجلونه وتحتفظ بذكراه افئدة الالاف والملايين من المواطنين.

لقد حلت الذكرى التاسعة بعد المائة لميلاد الشاعر ولقد مرت خمسون عاما على وفاة اباى. ولكن طريق الشاعر امتزج بطريق الشعب، ومن هناسر خلوده.

لقد حلق حصان الروايات القديمة المجنح فوق السهول والهضاب، وطار من قمم التاى الى قمم الاتاو. افلم يصبح اباى، الذى بذل جهودا كبيرة ليشق الطريق امام الاحفاد، راية لعصرنا وعزيزا على كل قلب اليوم بالذات؟

وها هو تار يخنا العادل يرد الجميل لذكرى الشاعر الذى اختار القلق والتفكير العميق نصيبا له، واختار النضال والالام مصيرا مشتركا مع مصير شعبه.

ولد شاعر الشعب الكازاخى العظيم اباى عام ١٨٤٥ فى جبال جنكيز بمحافظة سيميبالاتينسك، وذلك فى عائلة بدوية من سلالة توبيقطى.

وكان قونانباى والد الشاعر حاكما جهما متغطرسا و شيخا لقبيلة توبيقطى التى انضمت الى روسيا لفترة قصيرة قبل ذلك الحين.

وقضى اباى سنى طفولته المبكرة فى جو الخلافات المرهقة التى كانت تخيم على عائلة قونانباى. فقد كانت لابيه اربع زوجات. وا ثر طراز معيشة العائلة الاقطاعية هذا على نفسية وخلق ومصير الزوجات المتنافسات و على ابناء المتنافسين والمتعديين فيما بينهم، شأ نهم شأن امهاتهم. واكن من حسن حظ اباى ان امه اولجان كانت امرأة تتمتع بمكارم الاخلاق. فأن نزعتها الانسانية وحكمتها وا ناتها وحبها اللامتناهى لابنها هيأت لاباى هدؤ الحياة العائلية النادر فى تلك الظروف. و كانت اولجان تفضله دائما على ابنائها الاخرين واستبدلت اسم ابراهيم الذى اطلقه عليه ابوه باسم التدليل اباى «المتمعن الحذر». وظل هذا الاسم ملازما لابنها طوال حياته.

وعاش اباى وامه فى صمت العزلة عن قونانباى، و لكنها و جدا سندا معنويا لهما فى شخص الجدة زيرا. فهذه المرأة الحكيمة المحنكة وا لطيبة القلب كانت قدذ اقت طوال حياتها مرارة ظلم المرأة والزوجة، وقد علقت كل امالها على حفيدها الذى تحبه حبا جما. وكانت عناية هاتين

المرأتين وحنانهما وارشاداتهما تختلف تماما عن كافة تصرفات وعادات وسلوك الاب. وكانت هاتان المرأتان تخففان من لذع برد الحياة القارس الذى حكم على ابای الطفل ان يعيش فيه.

وبعد ان هيأ قونانبای لابنه امكانية التعليم الاولى فى الدار حيث كلف رجل دين بتعليمه، ارسله الى مدرسة الامام احمدرضا امام سيميبالاتينسك.

واستطاع الفتى المجتهد الموهوب ان يحصل على الكثير خلال خمس سنوات من الدراسة. وكان تلاميذ هذه المدرسة الدينية يصرفون الليل والنهار فى حفظ نصوص القرآن غير المفهومة لهم، وفى اداء فريضة الصلاة خمس مرات فى اليوم و فى الصيام. واذ كان ابای يتقن الفقه الاسلامى، كان فى الوقت ذاته يوسع من دائرة اهتماماته ومعارفه وفى تلك الفترة سيطر عليه بصورة مبكرة الولع بالشعر. وقد انبجس لديه حب الشعر عندما كان يستمع الى حكايات وذكريات الجدة زيرا، راوية الحكايات القديمة الحية.. وعند ما كان يحفظ عن ظهر قلب الحكايات والاساطير وقصص الابطال والاغانى التاريخية التى كان قد سمعها فى القرية، اى الابداع الغنى المتنوع للشعراء الشعبيين و المغنين فى سهوب بلاده. وحينما التحق ابای

با لمدرسة بعد ذلك اولع بقراءة شعراء الشرق. وكان يلجأ فى جو المدرسة الخانق الى الادب الشرقى الشعبى والكلاسيكى، كمالو كان يهرب من صحراء قاحلة الى واحة نضيرة. والى جانب الولع بدراسة اللغات الشرقية اهتم بدراسة اللغة الروسية والثقافة الروسية. وخرق اباى نظام المدرسة الدينية القاسى فأخذ يتردد على المدرسة الروسية بالاضافة الى دراسته فى المدرسة الدينية الاسلامية.

ولم يكتف اباى خلال سنى الدراسة بقراءة الشعر، بل اخذ ينظم الاشعار بنفسه. وتضم اشعار اباى الاولى التى ظلت محفوظة مقاطع غنائية ورسائل شعرية وقصائد حب وغزل نظمت بتأثير الشعر الشرقى الكلاسيكى، وهناك قصائد ارتجالية نظمها اباى باسلوب الشعر الشعبى على طريقة الشعراء الشعبيين انذاك.

وكان باستطاعة الفتى المتمعن والتلميذ المجتهد والشاعر المبتدئ اباى ان يحصل على كثير من الامور الهامة والمفيدة لمستقبله حتى فى ظروف المدرسة الدينية. ولكن ارادة الاب حددت مصير الابن بشكل اخر.

ففى ظروف الصراع المستمر بين الوجهاء القبليين من اجل السلطة على العشيرة اصبح لقونانباى كثير من الاعداء من بين منافسيه،

وكان عليه ان يعد ويد رب لهذا الصراع ابناءه واقرباءه. ولذلك لم يسمح لاباى با كمال الدراسة فى المدينة فا ستد عاه الى القرية واخذ يعلمه بالتدريج ادارة الشؤون القضائية والاعمال الادارية لشيخ القبيلة فى المستقبل.

وكان هذا الشاب الذى وهبته الطبيعة مواهب وامكانيات خارقة قد وقع منذ فترة مبكرة فى معمعة المغامرات والدسائس المعقدة. فان اباى الذى وجد نفسه فى بيئة الاشخاص المتفننين فى تسعير النزاعات القبلية اتقن ادق افانين المباراة اللفظية التى تستخدم البلاغة الرائعة وحدة الذكاء والدهاء سلاحالها. ولان قضايا الدعاوى والشكاوى لم تكن تحل فى المحاكم القيصرية بل على اساس القانون الكازاخى المتعارف عليه طوال القرون كان على اباى ان يغترف من كنوز الثقافة الكلامية الشعبية الكازاخية. فمنذ الحداثة احرز عن جدارة واستحقاق شهرة الخطيب الفصيح الحاد الذكاء واستطاع ان يصبح من اساطين فن الخطابة الرائعة، و تعلم تقدير الكلمة الشعرية تقديرا عاليا. فاذا كان قونانباى واعوانه يقدرون فقط اسلافهم من شيوخ القبيلة ويحفظون عن ظهر قلب خطبهم واقوالهم وحكمهم وامثالهم، فان اباى، خلافا لارادة ابيه اهتم بالمنشدين الشعبيين

واتقن نتاج كافة الشعراء والزجالين والنظامين السابقين الذين كانوا يتبارون فى ما يشبه «سوق عكاظ» من اجل الفوز بامارة الشعر.

و ولد الاهتمام المبكر با لشعر الشرقى الكلاسيكى لدى ابای اشعاره التفليدية الاولى وجعل الاهتمام بتقاليد الشعر الشعبى الكازاخى اشعاره الجديدة اصيلة ومتفردة ورائعة. وكانت تبدو فى هذه الاشعار ملامح الوجه المستقل لشاعر المستقبل الذى تمتد جذور قصائده عميقة فى تربة الشعب.

ويؤكد الكثيرون من معاصرى ابای انه بدا بنظم الشعر (بشكل اشعار ارتجالية ورسائل شعرية) عندما كان فى الثانية عشرة من العمر. ولم يصل الينا كل نتاج هذه المرحلة الاولى المبكرة جدا. فالى جانب كمية قليلة من اشعار الشباب نجد لدى الشاعر عدة ملاحظات يذكر فيها بعض القصائد المنسية والمفقودة. فنحن لا نعرف غير الابيات الاولى من القصائد المكرسة لحبيبة الشاعر توغجان. وعثرنا على ملخص نثرى شفوى للمباراة الشعرية بين ابای الشاب، وبين الشاعرة الزجالة قواندیق. وادى ضعف تطور الكتابة فى كازاخستان انذاك الى عدم وجود رسائل ومذكرات وتسجيلات معاصرى الشاعر والتى من شأنها ان تحتفظ باشعار فترة الشباب

وتلقى الاضواء على سيرة حياة اباى. وكان الموقف من الشاعر عموما فى المجتمع الاقطاعى البكواتى انذاك يتسم باهمية ليست قليلة فى هذا الخصوص. فاذاكان الشعب يكن اسمى الاحترام للنتاج الشعرى ويقدر كل التقدير لقب الشاعر فان البايات والبكوات كانوا يقولون متباهين: «حمدالله، حيث لم يولد فى عشيرتنا لاشاعر ولازجال». وكان موقف البكوات الازدرائى هذا من مهنة الشاعر يفسر عدم الاحتفاظ فى قرى عشيرة اباى باشعاره الاولى ولا بالمعلومات عن اعماله الشعرية فى المرحلة المبكرة لا نتاجه. وكان اباى نفسه، بسبب من هذا الموقف، غالبا ما يتلو اشعاره مد عيا انها اشعار اصدقائه الشباب.

ولم يستطع اباى الذى جر عنوة الى قضايا النزاعات القبلية المرهقة السكوت على الظلم وقساوة ابيه وغالبا ما كان بعارض مصالح ومطامع ابيه حيث يقدم حلا عادلا غير متحيز لكثير من القضايا. ولم يكن قونانباى راضيا ابدا عن تصرفات ابنه الجد يدة. فلم يكن يرضيه ان اباى قد عثر على اصدقاء وناصحين له من بين ابناء الشعب الشرفاء الاذكياء، وانه مغرم بالثقافة الروسية منذ سنين. وحدثت خلافات ومناوشات جدية بين الاب المتسلط الحاذق والابن

الصادق غير الخانع، وكانت هذه الخلافات تكاد تتحول الى قطيعة تامة.

وحلت هذه القطيعة نهائيا عندما بلغ ابای الثامنة والعشرين حيث تهيأت له امكانية تحديد نشاطه فی المستقبل حسب ما تمليه عليه بصيرته وارادته واول ما فعله هو انه عاد الى دراسة اللغة الروسية التی انقطعة فی الطفولة.

واختار لنفسه اصدقاء جددا من بين الزجالين والمغنين الارتجالين وشباب السهوب المبدعين، اولئك الذين كان اغلبهم من غير ابناء الوجهاء والشيوخ، ومن افضل ممثلی المثقفين الروس الذين كان يتقابل معهم انذاك فی سيمسيبالاتنسك. وعندما بلغ ابای الخامسة والثلاثين عاد الى الشعر من جديد، ولكنه كان يذيع اشعار هذه الفترة ايضا مدعيا بأنها اشعار اصدقائه الشباب. وخلال عشرة او عشرين عاما اخذ ابای الشاعر الناضج والانسان المثقف يدرس الانسان المثقف يدرس الادب الشعبی الشعری ونتاج شعراء الشرق والادب الروسی الكلاسيكی على وجه الخصوص. وفی صيف عام ١٨٨٦، عندما بلغ الاربعين من العمر نظم ابای قصيدة «الصيف» الرائعة وقرر لاول مرة ان يذيعها بأسمه. واعتبارا من هذا الوقت قضی ابای العشرين عاما

الباقية من حياته فى نشاط شعرى ابداعى غنى للغاية.

و فى ذلك الحين وبعد ان خابت كليا امال الشاعر فى اخلاق ونمط حياة البيئة الاقطاعية المتفسخة اجتماعيا اخذ يبذل كل الجهود للتخلص من هذه البيئة ومقاطعتها. فاباى الذى كان فى فتوته قد شارك عن غير قصد فى الخلافات والنزاعات المستمرة التى كان يسعرها شيوخ القبائل ادرك الان بكل وضوح مدى الاثر الفتاك لهذه النزاعات القبلية، والعجب الثقيل للمغاية الذى تلقيه على كاهل الشعب، واخذ الشاعر يدرك المغزى الحقيقى لهذه النزاعات التى تسعرها القيصرية بصورة مفتعلة طبقا لسياسة «فرق تسد». وصار الشيوخ وحكام القبائل والعمد يتحولون فى انظار الشاعر الى وكلاء السلطة الاستعمارية وكان اباى يفكر بمصائر شعبه والحسرة تعذبه ويسهد لجماهير الشعب الجاهلة المضطهدة المظلومة. وتسجد اشعار اباى الناضجة الم الشاعر العميق بسبب تعاسة الشعب المتخلف.

وكان اباى ابن الشعب البار والشاعر المخلص يبحث عن مخرج لشعبه. وفى السنوات الاولى من نضوجه الشعرى حاول ان يفتح بصيرة الشعب على اسباب الامه. فقد فضح فى اشعاره الصادقة الحادة جهارا وانتقد بلا رحمة عيوب وجهاء

العشائر الا قطاعيين ودعا جماهير الشعب الى الاعتراف من مناهل العلم القادر وحده على ان يدل هذه الجماهير الى طريق الحياة الجديدة.

وفى تلك الفترة شاعت الصدفة ان يتقابل اباى مع الثوار الروس المنفيين فى السبعينيات والثمانينيات. وكان هؤلا الثوار من ممثلى المثقفين الروس الذين تربوا بروح افكار تشيرنيشيفسكى ودوبرولوبوف الثوريه الديمقراطية. وكان احد هؤلاء ى. ب. ميخائيليس من انشط العاملين مع الكاتب الاجتماعى الثورى الروسى المعروف شيلفونوف، بل هو من اقرباء هذا الكاتب. وكان ميخائيليس والثور الاخرون الذين نفوا الى سيميبالاتينسك فى فترة لاحقة، ومنهم ليونتيف وغيره، قد وصلوا الى هنا عندما كانوا شبابا.

وسرعان ما تحول تعارف اباى مع هؤلاء المواتنين الى صداقة متينة. فكانوا يتوجهون الى قرية اباى ويحلون ضيوفا عليه طوال الصيف ويتراسلون معه طوال الشتاء وساعد هؤلاء الوطنيون الروس اباى بكل اهتمام ورحابة صدر على رفع مستوى ثقافة حيث اختاروا له كتب المطالعة وكانوا يجيبون على اسئلته.

وفى ظروف المنفى نضج هؤلاء المنفيون حيث اصبحوا كتابا وعلماء اجتماعيين فدرسوا

الحالة المعيشية والظروف الطبيعية والجغرافية للمنطقة التى اصبحت وطنا جديدالهم. وصار هؤلاء بالتدريج اول من نشر الثقافة فى الاطراف المتأخرة واول من دافع عن مصالح التعليم و تغيير طراز حياة ومعيشة شعوب المنطقة وتاريخها. وكانوا يختلفون عن موظفى المحافظات النائية من مكاتب المحافظين ومديرى النواحى بكونهم، على الاقل، يعارضون القيصرية، و لذلك اعتبروا التعليم والتنوير لهذه الدرجة او تلك وسيلة هامة فى النضال ضد القيصرية. وكان من اهم افهم الاولى طبعا اطلاع الناس، من امثال اباى، على تراث الكلاسيكيين الروس و غير هم من حملة مشعل الثقافة الروسية الطليعية.

وكان اباى بدوره يرى فى التقارب بين الادبين الكازاخى والروسى الطريق الصائب الوحيد لانقاذ الشعب الكازاخى من ظلام القرون. واعتنق هذا الشاعر المنور العظيم افكار الاخوة والصداقة بين الشعوب. وحاول فى اشعاره ان يوحى للشعب الكازاخى بضرورة القدرة على التفريق بين الشعب الروسى وبين المستعمرين القيصريين.

ان اصدقاء اباى الذين افادوه كثيرا فى البحث عن المعرفة والا غتراف من مناهلها

استفادوا هم انفسهم منه كثيرا، حيث استخدموا معلوماته العميقة الواسعة فى التاريخ والقانون والشعر والفن والاقتصاد والحياة الاجتماعية لكثير من الشعوب القريبة من الكازاخيين.

وكان اباى منذ حداثته يكن مشاعر الاحترام العميق لتراث الثقافة الروسية العظيم، وكان يعى تماما المثل المشتركة والمهام المشتركة لتحرير شعوب روسيا روحيا من اسر الجهل واضطهاد طوال القرون.

وا عجب اباى كل الا عجاب بمؤلفات بوشكين و ليرمونتوف و كريلوف وسالتيكوف-شيدرين وليف تولستوى. فمنذ صيف عام ١٨٨٦ المذكور اى منذ بداية النشاط الشعرى الصريح - اخذ اباى يترجم الى اللغة الكازاخية مؤلفات كريلوف وبوشكين وليرمونتوف وجعلها لاول مرة فى متناول الشعب الكازاخى وبلغة يفهمها هذا الشعب.

لقد كان اباى ملحنا يقدر اعظم التقدير الموسيقى الشعبية الكازاخية التى كان متضلعا فيها. ولذلك وضع، بالاضافة الى كونه شاعرا، عدة الحان جديدة واغلبها لاشعاره التى استحدثت فى الشعر الكازاخى اشكالا جديدة لم تكن معروفة سابقا (الثمانيات والسداسيات وغيرها). ووضع الحانا للمقاطع التى ترجمها من رواية سعرية بوشكين «يفغينى اونيغين». وفى ١٨٨٧ - ١٨٨٩

جاب اسم بوشكين واسما بطلى رواية اونيغين و تاتيانا السهوب على اجنحة هذه الاغانى، واصبحت هذه الاسماء عزيزة على الشعب الكازاخى كأسماء زجاليه وابطال ملاحمه الشعرية.

وحتى تلك الاونة اصبح اسم اباى الشاعر والمفكر والملحن واحدا من اشهر الاسماء التى يكرمها الشعب. واخذ يتردد عليه الزجالون والملحنون والمغنون من المناطق النائية. وكان البعض منهم يحذون حذو اباى فى التثقيف الذاتى ويدرسون الادب الروس ويؤلفون الملاحم التاريخية والرومانسية والواقعية.

واجتذبت شهرة اباى اليه ليس فقط الكازاخيين بل وكثيرا من الناس ذوى الافكار الحرة فى الشرق (وا غلبهم من الشباب التتر) وا لذين ارغموا على مغادرة المدن بسبب ملاحقة السلطات لهم، او النازحين من القفقاس بعد الارهاب الذى لا قوه من قبل الحكومة القيصرية. ففى قرية اباى كان يقيم شهورا كاملة القفقاسيون الذين هربوا من المنفى فى سيبيريا عائدين الى ديارهم عبر سهوب كازاخستان واصبحت قرية اباى بالتدريج مركز جذب لذوى الميول التقدمية انذاك كانت ادارة المنطقة قلقة اشد القلق من الصداقة المتينة والطويلة الامد بين اباى والثوار المنفيين. و وصلت الانباء عن اباى، با عتباره شخصا يشكل

خطرا على القيصرية الى الحاكم العسكرى فى سميبالاتينسك والى الحاكم العسكرى العام لمنطقة السهوب. وفرضت الرقابة السرية على قرية اباى وعلى كل ما يجرى فيها. واصبح اباى، باعتباره شخصية محترمة فى سهوب كازاخستان وباعتباره باحثا شجاعا خطيرا عن الحقيقة، وفاضحا لعيوب النظام القائم انذاك موضع اهتمام ورقابة الولاة والعمد والمسؤولين.

وفى الوقت ذاته كان الوسط الثقافى للمعجبين بموهبة اباى يتسع من عام لاخر. وشمل تاثيره ونفوذه المدنية ايضا. فاخذ الناس يغنون ويسجلون ويحفظون عن ظهر قلب ليس اشعاره فقط، بل واشعار اصدقائه ايضا. وانتشرت فى السهوب فى شكل حكايات شفهية روايات الكتاب الغربيين والروس بعد ان قرأها اباى وحلكاها لتلاميذه الرواة. وهكذا جابت السهوب القصص المنتشرة بين تلاميذ اباى من امثالى «الفرسان الثلاثة» «هنرى نافار» لديماس والحكاية الروسية الشعبية عن بطرس الاكبر وروايات فترة محاكم التفتيش، وكذلك رواية ليساج «الشيطان الاعرج» التى انتشرت فى السهوب الكازاخية باسم «الفرنسى الاعرج» واشتهرت بالفاظ اباى الروايات حول اوائل المهاجرين الى السهوب الاميركية وقصائد ليرمونتوف و كثير

من الملاحم الشرقية مثل «الشاهنامة» و «مجنون ليلى» و «كير اوغلى» وغيرها. وحذا حذ و اباى فى نشر هذه الروايات والملاحم اصدقاؤة الكثيرون من ذوى الثقافة الغربية.

وارسل اباى ابناءه للدراسة فى المدارس الروسية. فقد ارسل ابنته غولبادان وابنيه عبد الرحمن ومعاوية منذ حداثتهم الى مدرسة روسية فى المدينة وحصل عبد الرحمن فيما بعد على تعليم جيد حيث تجرج من مدرسة ميخائيلوفسكويه المدفعية فى بطرسبورغ، بينما عادت غولبادان ومعاوية الى القرية بسبب سؤ الحالة الصحية. ولكن معاوية اصبح هنا من اكثر تلاميذ ابيه جدا واجتهادا.

وكان معاوية وا بن اباى البكر عقيلباى قد اصبحا شاعرين فيما بعد. ومن افضل ما نظم معاوية ملحمة «مقداد ـ قاسم» التى نظمها حسب توصية اباى وهى تتحدث عن الصراع بين عبد وسيده الاقطاعى. وتدور حوادث الملحمة على شواطئ النيل.

ونظم عقيلباى ملحمة رومانسية بعنوان «داغستان».

وحظيت هذه المؤلفات، شأنها شأن مؤلفات اباى نفسه بانتشار واسع بين ابناء الشعب بشكل مخطوطات وعلى السنة المغنين والزجالين على

الخصوص. وبنفس الطريقة وصلت الى اوسع جماهير المستمعين الكازاخيين مؤلفات بوشكين و ليرمونتوف.

وكان النشاط الشعرى والتنويرى والاجتماعى المتنوع لاباى واصدقائه موجها كليا ضد الاسس المتخلفة للقرية الاقطاعية وضد الذين يجسدون هذه الشرور من امثال الدساسين القبليين والذين يضطهدون الشعب بفظاظة، وضد النظام القيصرى المستند على هؤلاء.

واثارت مؤلفات وجهود اباى وبرنامجه الاجتماعى الواضح واحتقاره لكافة المتسلطين حقدا دفينا عليه لدى الاقتاعيين وخدم القيصرية المخلصين الذين خاضوا صراعا قذرا مخادعا مستمرا ضد اباى وضد الافكار التى كانت راية لهذا الشاعر المستنير غير المهادن. وتواطأ اعداء اباى هولاء مع الوجهاء والموظفين ومع السلطات ومع المثقفين الصغار الخونة.

الا ان هذه القوى السوداء كانت تخشى غضبة الشعب الذى احب اباى، ولذلك لم تستطع ان تعمل ضده بصورة سافرة. فقد اختارت اكثر وسائل الصراع حيلة وغدرا. وجمع احد العمد، وهو اورازباى عدو اباى اللدود، ممثلى وجهاء الريف والمدنية المتذمرين من اباى واخذوا يطاردون اصدقاء الشاعر ويفترون عليه، واخيرا

نظموا فى عام ١٨٩٧ محاولة اغتيال الشاعر بكل نذالة وبتغاض من السلطات. وكانت مكاتب المحافظين ومدراء النواحى والمحاكم القيصرية مليئة بالتقادير المتنوعة عن ابای، وقد كتب هذه التقارير الموظفون وشيوخ العشائر الذين سموا ابای «بعدو القيصر الناصع» و «محرض الشعب» و «خارق عادات وتقاليد وتوجيهات الاباء والاجداد» والشخص الذى «لا يرعوى». ونتيجة لهذه التقارير اجتاح حرية ابای رجال بوليس سيميبالاتينسك لاجراء التحريات ومرة وصل الى هنا مع فضيلة كاملة من الجندرمة رئيس دائرة بوليس مدينة سيميبالاتينسك الذى اجرى التحرى فى القرية كلها.

و حاول محافظ سيميبالاتينسك التخلص من ابای مرارا ولكنه وهو العارف بشهرة الشاعر اللامتناهية بين ابناء الشعب الكازاخى، والخائف من تذمر الجماهير، اضطر الى الاكتفاء بعزل ابای عن اصدقائه المنفيين. وقطع ذلك الصلة الوثقى بينهم وبين ابای. فقد اخذت السلطات تراقب او تحجب مراسلات الشاعر مع اصدقائه وقرائه من المناطق النائية.

ولكن هذه الاجراءات جميعها لم تستطع عزل الشاعر عن الشعب فان ابای الناقد اللاذع بلا هوادة ولا تسامح لتصرفات الموظفين والحكام و شيوخ العشائر والعمد وكافة المتسلطين اصبح

الناصح الحكيم لابناء الشعب فى كافة المصائب والنكبات. وبسبب من نصائح اباى الحكيمة اخذت قبائل وعشائر كاملة من المناطق القريبة والبعيدة تلتجئ الى احكامه العادلة النزيهة فى القضايا المختلف عليها. فحتى سكان المديريات الكازاخية النائية كانوا يترددون على اباى طالبين النصح فى حل خلافاتهم العميقة القديمة بشأن قضايا الاراضى والدعاوى الاخرى. ولم يكن من النادر ان يتوجه اليه الناس لحل القضايا المعقدة بين المحافظات بشأن الغارات وجرائم القتل التى لم يستطع الموظفون والسلطات ان يجدوا حلالها. وكانت هذه القضايا تحل فى اجتماعات غفيرة خاصة تسمى «بالتجمعات الطارئة» للنظر فى الدعاوى بين سكان مختلف المدريات، وهى دعاوى بشأن دفع التعويضات للمتضررين دون ذنب من ابناء الشعب الفقراء بشأن معاقبة الا قطاعيين وشيوخ القبائل الذين يمارسون الدسائس المستمرة فيجرون على الشعب المصائب والويلات.

وكان اباى، وهو شخص لا يتسم باية صفة رسمية غالبا ما يحل القضايا المختلف عليها باعتباره محلفا منتخبا وكان يأخذ على عاتقه حل هذه القضايا وذلك لكى يخلص جماهير الشعب من النزاعات وينقذها من وقوع غارات جديدة عليها دون ان تكون لها اية جريرة او ذنب، ولكى

يرغم مسعرى هذه النزاعات على الاستسلام.

وقد حظى النشاط الاجتماعى والابداعات الشعرية لاباى بانتشار واسع بين الشبيبة الكازاخية خصوصا. ففى كثير من الاجتماعات الشعبية وحفلات التأبين والولائم والاعياد والاعراس كان الزجالون والمغنون ينشدون اغانيه وقصائده. وكان الشبان والشابات يعربون عن مشاعر الحب لبعضهما البعض مستخدمين اشعار اباى. وكانت الفتيات من القرى القريبة لاباى يحملن مع مهر الزفاف مخطوطات اشعار وملاحم واقوال اباى.

ولكن حكام السهوب الحسودين الغداريين الغلاظ لم يطيقوا تلك الامجاد التى لا مثيل لها والتى كان الشعب يضفيها على اسم اباى الذى يكرهونه، ولذلك كانوا يسممون ايام اباى المليئة بالنشاط الخلاق الفوار.

و وصل بهم الامر الى احط انواع التهجمات القذرة الدنيئة التى جرحت مشاعر الشاعر. فقد حرضوا ضد اباى ابناء اخوانه واعمامه بل وحتى اخاه تاكيجان، وا بعدوا اصدقاءه عنه تارة بالافتراءات وتارة بالتهديدات.

وفى جوالاحقاد الحالك هذا، كانت وفاة ابن اباى و وريثه عبد الرحمن، وهو الشباب المثقف النابه، مأساة حزت فى قلبه والمته اشد الالم.

فعبد الرحمن الذى كان يعانى من التدرن الرئوى منذ سسنى الدراسة فى بطر سبورغ عمل لفترة غير طويلة بمثابة ضابط فى مدفعيه الميدان، و توفى فى مدينة فيرنى عام ١٨٩٥ وهو فى السابعة والعشرين من العمر. وكرس ابای لوفاة ابنه كثيرا من القصائد الشاعرية الحزينة التى جسدت الا عتراف القلبى بخيبة الامال واعز افكار ابن الشعب الحزين الذى كان يتوق الى ان يرى فى ولده الشاب مناضلا امينا من اجل الشعب متربيا بروح افضل تقاليد الديمقراطية الشعبية الروسية والفكر الاجتماعى التقدمى. و تحمل ابای ذلك المناضل الوحيد من اجل الحقيقة والحياة السعيدة للشعب والذى ارهق كاهله النضال المرير والحياة العسيرة الاليمة والذى لاحقته جموع الاقطاعيين والموظفين الشريرة الغبية ـ تحمل اخر ضربة يوجهها القدر: حيث يموت بالتدرن الرئوى ابنه الاخر، الشاعر المبدع معاوية.

وكان ابای الذى لم يتحمل هذه الكارثة قد رفض وهو فى حالة من اليأس اى علاج لمرضه، فتوفى فى الستين من العمر فى سهوب وطنه، بعد ان ظل على قيد الحياة اربعين يوما فقط بعد وفاة ابنه الثانى.

ودفن ابای قرب منزله الشتوى فى وادى جيدباى على مقربة من جبال جنكيز.

لقد صدرت الطبعة الاخيرة لتراث ابای الادبی باللغة الكازاخية فی مجلدين ضخمين. ويضم المجلدان قصائد الشاعر وملاحمه واحاديثه مع القارئ («النصائح») وكثيرا من الترجمات. وهذا التراث نتيجة قيمة لا فكار الشاعر واهتماماته ومشاعره المتحمسة النبيلة طوال سنين كثيرة.

ان نتاج هذا الشاعر الحكيم يغترف من ثلاثة منابع كبرى واحداها الثقافة الكازاخية القديمة المتجسدة فی الاثار الشفوية والمخطوطة التی وضعها الشعب نفسه فی الماضی. وفی مجری الاهتمام الوثيق العميق بالتراث الشعری للشعب الكازاخی استطاع ابای ان يغترف افضل واثمن ما فی هذا الكنز ويغنی شعره به. وا لمنبع الثانی هو افضل صور الثقافة الشرقية التاجيكية والاذربيجانية والاوزبكية. وكان هذا الاهتمام يتجسد فی الاشعار الكلاسيكية اللشعوب المجاورة والذی نلاحظه منذ بداية القرن التاسع عشر ظاهرة ايجابية، طبعا فی الثقافة الكازاخية. اما المنبع الثالث فهو الثقافة الروسية والثقافة العالمية عن طريقها. وكان ابسط اهتمام بهذا المنبع فی عصر ابای ـ وخصوصا الاهتمام بتراث الكتاب والشعراء الروس الكلاسيكين لم يكن يعرفهم الشعب الكازاخی قبل ابای ابداهو فی حد ذاته حقيقة ذات اهمية تقدمية كبيرة. فقد دفع

هذا الامر الثقافة الكازاخية انذاك الى الامام وكان ضمانا لازد هارها فى المستقبل.

وتجلت اصالة اباى الفائقة وموهبته الرائعة فى انه عندما اغترف من المنابع الثلاثة المذكورة لم يشوه موهبته بالتقليد الزائف فاباى، ذلك الفنان الطويل النفس، تشبع بالثقافة الجديدة تشبعا عضويا، ولكنه اختفظ كليه بشخصيته الناصعة شخصية الفنان وا لمفكر.

وعندما اتجه اباى الى هذه الثقافات البعيدة والتى لم يكن الشعب الكازاخى قد اطلع عليها بعد، لم يكتف باغناء ادبه بالوسائل الغنية التعبيرية الجديدة، بل واغنى عالمه الروحى بأفكار جديدة. ان اباى، شأنه شأن بوشكين شاعر اممى من حيث جوهر ثروته الفكرية والشعرية وهو فى الوقت ذاته شاعر وطنى، وشعبى دون شك.

ولنلق بنظرة اعمق على تأثير المنابع الاساسية الثلاثة المذكورة على ادب اباى. فهذه المنابع غالبا ما تكون ممتزجة امتزاجا عضويا متشابكا فى شعره الامر الذى يعتبر طبيعيا بالنسبة لشاعر ناضج. ولذلك فعندما نتحدث عن مختلف مراحل نتاج اباى يمكننا الكلام عن هذو العناصر فقط باعتبارها السمات الطاغية فى شعره.

ان اغلب شعر اباى الذى يعود للثمانيات

مكرس لطراز معيشة القرية الكازاخية الفريدة وللمصير التاريخى للمجتمع الذى عاصره. والى جانب ذلك يجرى الشاعر اعادة نظر فنية نقدية عميقة للقيم الروحية لشعبه ويقدم برنامجه الشعرى الجديد المتسم بالطموح الشديد الى اعادة بناء المجتمع. وفى هذه القصائد يقترب اباى كل الا قتراب من التراث الشعبى ولكننا هنا بالذات نرى بكل وضوح الفرق الشاسع بين شعره وبين الادب الشعبى.

فالشاعر لا يكرر الثقافة الشفاهية والشعرية للادب الشعبى بالشكل التقليدى الثابت بل اغنى وعمق الكلمات والصور والوسائل الاسلوبية فى الادب الشعبى وا ضفى عليها افكارا جديدة ومشاعر تميز مذهبه وفلسفته. فاشعاره تجسد افكارا جديدة ومشاعر جديدة واثر فى هذه الا شعار بالدرجة الاولى موقف الشاعر غير المهادن من الحياة الاجتماعية فى القرية انذاك مع ما فيها من مختلفات الماضى وظلام الجهل ونزاعات فئة الاقطاعيين الكبار المتفسخة وفقر جماهير الشغيلة وحالتها المزرية.

ولدى اباى عدد كبير من القصائد التى تبدأ بأبيات «تمد الشيخوخة اذرعها»، و «ايه ايها الكازاخ.. يا شعبى البائس»، و «اصبحت رئيسا للناحية»، و «تقاسمت معه كسرة الخبز» وهى

توجه النقد اللاذع للجهل والجشع والارتشاء والتطفل وضحالة الذين كانوا يقررون مصائر الشعب الكازاخى. ولاول مرة فى الادب الكازاخى امكن التعبير بهذا الوضوح وبهذا السمو الخلقى عن الموقف الجديد من العائلة و واجب الابوة وتربية الجيل الناشئ، وعن المرأة وهو الاهم.

فان نصيب المرأة الشرقية التعيسة المظلومة، الذى صورته الملاحم الشعبية والاغانى اليومية، اكتسب مغزى جديدا فى قصائد ابای. ويكشف ابای فى شعره عن جوهر روحية المرأه وا لفتاة وعن اعز افكارها ومشاعرها التى تحدثت عنها قليلا جدا الملاحم والقصائد التى نظمت قبل ابای والتى تكشف بصورة رئيسية عن الجانب الخارجى لمأساة المرأة. ويبين ابای مدى اخلاص وتأثير وعمق حب الفتاة عندما تختار حبيبها بنفسها، ومدى قوتها وصلابة ارادتها فى النضال من اجل السعادة التى احرزتها بكل صعوبة ويتغنى ابای بالمرأة الكازاخية والام الكازاخية باعتبارها سند العائلة الحكيمة. وهو يتغنى باستعدادها للتضحية بنفسها، ويتغنى بحكمتها وثباتها فى الصدقة المخلصة وكمال روحيتها الرائعة. وكان ابای يعارض فى اشعاره بكل شدة نظام المهر المشين الذى تدفعه النساء وكذلك تعدد الزوجات واستعباد المرأة، ويناضل من اجل مساوات

المرأة فى المجتمع. وكان اباى الذى يوجه ضربات موجعة الى اسس النظام القبلى القديم والى الجمود والكسل يتغنى فى الوقت ذاته بالارادة النشيطة وحب العمل باعتبارهما من الخصائص الضرورية للانسلن الحكيم والقادر على ممارسة النشاط الحيوى. وحاول بكل قوة مستخدما اشعاره اللاذعة ان يحطم قوانين الشعر التوجيهى التربوى الجامد الذى كان منتشرا قبل مجيئه. ففى برنامجه الشعرى الذى تعبر عنه قصائد: «لا احلق باشعارى فى الاوهام»، و «الشعر سيد الكلمات...»، و «لماذا نرتل اغنيات موجعة؟» انتقد بشدة اصحاب الايديولوجية الرجعية، ايديولوجية الخانات والا قطاعيين التى كان يعتنقها الزجالون قبله من امثال بخار ـ جيراو وشارتانباى ودولات، ووصف اشعار هؤلاء بانها «اشعار متهرئة» خالية من الكلمات عن النضال الحازم ضد الجمود والتأخر الذى دام قرونا طويلة وهو يدينهم لانهم لم يقدموا اى غذاء روحى للجيل الجديد ولا نهم يلحقون بسبب ذلك ضررا بنضال الشعب من اجل تحويل المجتمع. واعلن اباى بأن الهدف الاسمى والرسالة التاريخية للشعر الجديد هما فى خدمة الشعب والدعوة الى كل ما هو جديد وكل ما من شأنه ان يعيد تربية المجتمع وتحويله. فالعمل والنضال من

اجل حقوق الشعب هما وحدهما القادران على تهيئة الاستقلال لفقراء السهوب وان الطموح الدؤوب الى المعرفة هو وحده الذى يحمل الحياة الافضل للجيل الناشئ. وكان ابای قد اعرب عن هذه الدعوة للنور والعلم ليس بشكل نصيحة جافة. فان مجمل نظام التفكير الشعرى وا لصور الفنية لدى الشاعر يوجه المجتمع الكازاخى نحو الثقافة الروسية و نحو الثقافة العالمية عن طريقها. ففى الشعار ابای هذه اعادة تقييم جذرية لاسس المجتمع الريفى وتقاليد الاجداد والحقوق المعتادة واخلاق الاجتماعية، فطريق الانسان فى الحيات تحدده الارادة الحكيمة والاخلاص ونبل المشاعر وا لنشاط المفيد، وليس التمسك الغبى بالعادات والتقاليد التى اكل الدهر عليها و شرب.

وتتسم بهذه الحدة وعمق المحتوى فى شعر ابای مسألة موقف الانسان من الطبيعة والعمل وا لنضال من اجل اعادة بناء الحياة. فالشاعر قد ادرك مغزى الوجود البشرى بشكل جديد.

وكرس ابای سلسلة كبيرة من اشعاره لا عادة النظر جذريا بكافة اسس الا خلاق الاجتماعية البنية انذاك على تقاليد وعادات الماضى. ويتناول ابای كافة المسائل وا لقضايا الحيوية التى كانت تهم الشب، وهو فى هذه الاشعار بمثابة المعبر عن امال وافكار هذا الشعب. الا

ان ابای فی هذه الاشعار یبدو شاعرا اصیلا غیر مقلد، وهو یدعو الی الافکار الجدیدة ویطبق باستقامة وثبات برنامجه الاجتماعی الفعال.

ومن اوضح ملامح نشاط ابای دعوته للتعلیم عن طریق التقارب مع الثقافة الروسیة والعالمیة. فابای لا یعتبر الفروق اللغویة والدینیة بین الشعوب ولا الابعاد التاریخیة التی تفصل بین الشعوب طوال القرون عوائق فی طریق النمو التقدمی لشعبه. فقد کان هدفه التعلم من کافة الشعوب التی بنت ثقافتها طوال القرون. وباسم هذه المهمة التاریخیة لتنویر الوطن اعلن ابای حربا لا هوادة فیها ضد کافة اسس الماضی وکافة اصحاب الایدیولوجیة المتخلفة. ولا یستثنی ابای فی سخریته الشباب الذین لم یکملوا دراستهم فتحولوا الی موظفین، ولا یرحم الکسالی والجشعین والدساسین الذین یسممون بالنزاعات حیاة الشعب العامل الامن.

لقد کان لدی ابای موقف خاص من الشعر الشرقی و من مجمل الثقافة القدیمة والمعاصرة له فی الشرق الاوسط.

فالشرق کان قد ترك اثره فی ابای منذ حداثته. فقد اطلع علی اصول کافة الملاحم العربیة والفارسیة (وقسم منها بالترجمة الی ما یسمی باللغة التشاغاتیة) وکما درس مؤلفات ادباء

وشعراء الشرق العظام: الفردوسى ونظامى وسعدى وحافظ ونافوى و فضولى. وكان فى تلك الفترة يقلد هؤلاء الشعراء، حيث استحدثت «العروض» فى الشعر الكازاخى لاول مرة ونقل اليه كثيرا من الكلمات العربية والفارسية المقتبسة من التراث الشعرى لهؤلاء الشعراء وبعد ذلك، وبعد ان عثر اباى فى الادب الشعبى على اسس فنية اكثر ثباتا وحيوية، اختار من الادب الشرقى الابداع الشعبى مثل: «الف ليلة وليلة» والحكايات والملاحم الشعبية الفارسية والتركية. واشتهرت فى السهوب بلغة اباى ملاحم «الشاهنامة» و «مجنون ليلى» و كير اوغلى».

و كون اباى لنفسه روحية مستقلة جسورة للغاية وسعة متناهية للاراء باعتباره مناضلا تقدميا حقا وشخصية ثقافية تربت على الصور الكلا سيكية الثقافة الروسية والاوروبية بما فيها المثل الانسانية العامة، مثل الخير والواجب والتفاني فى خدمة الشعب والوطن والعمل لخير البشرية المضطهدة. ويلاحظ المرء فى التراث الشعرى لاباى افضل تقاليد الشعر الكلاسيكى الشرقى القديم.. ففى قصائد الحب والغزل وفى التأملات الشاعرية وفى قصيدة «مسعود» الفلسفية الا خلاقية نجد تأثير الكلاسيكين الشرقيين دون شك. الاان ذلك ما هو الا الملامح الظاهرية.

فان المضمون الفكرى والفنى الجديد وصدق المشاعر وحس الحياة العميق وادراك عالم الاشياء والعلاقات البشرية ادراكا «دنيويا» ملموسا كل ذلك امور اصيلة لدى ابای وغير معتمدة على الصور الشرقية.

وهكذا يحتل العالم العربى الاسلامى مكانته فى نتاج ابای عن طريق مذهب الشاعر المستقل الذى استوعب واجاد تقييم هذا التراث تقييما انتقاديا. ومع ذلك ينبغى ان نشير الى ان ابای لم يكن ثابتا فى هذا الطريق على الدوام.

لقد قطع ابای طريقا طويلة فى التثقيف الذاتى بدراسته الثقافتين الروسية وا لغربية. فبعد ان بدأ بدراسة اثار بوشكين وليرمونتوف وكريلوف اهتم بادب الستينيات والثمانينيات، مع العلم بانه احب وفتن كذلك بأدب الناثرين الروسيين العظيمين ليف تولستوى وسالتيكوف-شيدرين، بالاضافة الى عجا به بالشعراء الروس. وقراء ابای الترجمات الروسية لا شعار غوته و با يرون وغيرهما من كبار الادباء الكلاسيكيين الغربيين. كما كان على اطلاع كاف على الادب اليونانى والرومانى.

واستخدم ابای ترجمة ليرمونتوف لبعض قصائد بايرون وغوته فترجمها الى اللغة الكازاخية.

واكد اصدقاء ابای المنفيون (ليونتيف واخرون) على انه كان يدرس بانتظام الفلسفة الغربية وخصوصا فلسفة سبنسر و سبينوزا، وكان مهتما بنظرية دارون.

وكان اسلوب ابای الا بداعی فی معالجة الادب الروسي الكلاسيكی يتسم بخصائص جديدة فی كل مرحلة جديدة من مراحل نشاطة فعندما ترجم ابای اشعار كريلوف كان غالبا ما يلجأ الى تغيير القسم التربوی النصحی والاخلاقی لحكايات كريلوف الشعرية حيث يعالجها باساليب جديدة تتناسب وتصورات ومفاهيم الكازاخيين. وترجم ابای اشعار ليرمونتوف بدقة متناهية وولع شديد. ومن هذه الاشعار قصائد «الخنجر» و «خرجت الى الطريق وحيدا» و «هدايا تيريك» و «الشراع» و مقاطع من قصيدة «الشيطان». ولا تزال هذه الترجمات الفنية حتى الان من افضل ترجمات الادب الكلاسيكی الروسی الى اللغة الكازاخية.

وكان موقف ابای من بوشكين موقفا خاصا متميزا. فان المقاطع التی ترجمها ابای من رواية شعرية بوشكين «يفغينی اونيغين» هی اقرب ما تكون الى الترجمة الملهمة بتصرف. فابای الذی اعجب كل الاعجاب بالصدق التعبيری والشاعرية السامية لصورتی تاتيانا واونيغين، بطلی الرواية، استعرض قصتهما مؤكدا على الحكمة والعبرة من

مشاعر الحب الحقيقى وقرب هذا الحب من مفهوم الشبيبة الكازاخية، مع العلم بان ابای تمسك بالتقليد الشعرى الشرقى القديم حيث كشف باسلوب جديد عن موضوعات نتاج الشعراء الذين سبقوه. وبهذه الطريقة نجد «الاغنيات» الشعرية الخاصة بموضوعات ملحمتى «مجنون ليلى» و «فرحات و شيرين» وملاحم الاسكندر المقدونى لدى الشعراء التاجيكيين والاذربيجانيين والاوزبكيين القدامى. ويتحدث ابای بهذا المجال فى قصيدته «الاسكندر» عن الاسكندر المقدونى وارسطو مقتفيا اثر الشاعر الاذربيجانى الكلاسيكى نظامي والشاعر الاوزبكى نافوى. واستخدم ابای طريقة التصرف الشعرى فى تراث الماضى العظيم عندما عالج ملحمة «يفغينى اونيغين». مع العلم بان ابای لم يبدل صورة تاتيانا مع ادق مظاهر روحيتها الروسية وتحولت ملحمة بوشكين «يفغينى اونيغين» فى ترجمة ابای الى رواية مراسلات شعرية. و عندما وضع ابای الحانا لرسائل تاتيانا وانيغين التى اعربا فيها عن جبهما لبعضهما البعض قدم للمنشدين والمغنين نماذج رائعة من مشاعر المحبين، واصبح اسما هذين البطلين مشهورين لدرجة ان هذه «الرسائل» كانت تنشد فى كل مكان، بل و كانت رسائل

الحب والغرام لدى الشبيبة الكازاخية غالبا ما تبدأ بعبارات من تلك «الرسائل».

وتبين ترجمات ابای التی کانت لها اهمیة کبری فی تطویر الادب الکازاخی الصلة المباشرة بین الشاعر وبین الادب الروسی والاوروبی. فالترجمات تبین هذه الصلة لا غیر. ولکن التأثیر العضوی العمیق لهذه الثقافة وهذه التقالید الفنیة ینبغی البحث عنه فی نتاج ابای نفسه و لیس فی ترجماته. فمما لا شك فیه ان حصیلة التأثیر المثمر للثقافة الشعریة الروسیة تتحدد فی اغناء ابای للشعر الکازاخی باشکال جدیدة (فقد استحدث ابای احد عشر بحرا شعریا لم تکن موجودة قبله) ومواضیع جدیدة ومحتوی اجتماعی جدید، مما ادی الی ارتفاع المستوی النوعی للشعر الکازاخی کثیرا. ومع ان ترجمات ابای لشعر بوشکین کانت اندر من ترجماته لشعر الشعراء الروس الکلاسکیین الاخرین، فان ادب هذا الشاعر الروسی العظیم اثر اعمق التأثیر علی ادب ابای. ففی شعر ابای کثیر من ملامح شعر بوشکین حیث یتجلی ذلك فی التأملات الغنائیة وفی وصف الطبیعة و وصف المناظر الطبیعیة بواقعیة تشبه وافعیة بوشکین وفی التغلغل الی اعمق اعماق قلب المرأة المحب،

وفى النغم الانسانى الشامل للموضوعات الاجتماعية.

لقد هيأ الا تصال الداخلى العميق ببوشكين والادب الشعرى العالمى الامكانية امام اباى لنظم اغانيه عن فصول السنة الاربعة واشعاره الغنائية وتأملاته الشعرية وقصائده عن رسالة الشاعر و ملحمته عن الاسكندر المقدونى وارسطو.

ويقدم اباى فى اشعاره عن فصول السنة وصفا رائعا لمناظر الطبيعة الكازاخية ومعيشة البدو الرحل الكازاخيين. ولكنه يبدو واضحا فى استيعاب البيعة وفى اراء الشاعر بشأن هذه المعيشة المتميزة وفى المزاج الشعرى الذى يلفع هذا الاستيعاب وهذه الافكار اثر السمة الجديدة لا راء ومشاعر اباى، تلك السمة التى لم يسبق لها مثيل فى الادب الكازاخى.

وفى القصيدة المكرسة للشاعر عموما يقارن اباى بين البيئة الوضيعة المتحجرة التى يعيش فيها الشاعر وبين استقلاليته و صدقه وانفته وا فكاره الملهمة المجنحة. وهنا ايضا تشبه اراء اباى اراء بوشكين.

ومما يلاخطه المرء كذلك التشابه الرائع بين موضوعات شعر اباى وموضوعات ادب سالتيكوف-شيدرين. فاباى لم يكتب نشرا فنيا كسالتيكوف-شيدرين ولكنه يهزأ فى اشعاره

الهجائية بصورة لاذعة بحكام السهوب و موظفيها وبيكواتها وعمد العشاعر. ولذلك فاباى قريب من سالتيكوف-شيدرين فنيا وسياسيا. وذكر اباى فى احدى قصائده الموجهة الى الطلبة اسم سالتيكوف-شيدرين باعتباره الكاتب الذى قدم صورا صادقة تجسد الموظفين، مضطهدى الشعب. ان اباى يرفض النظام السياسى القائم انذاك ليس باقوال متفرقة جاءت عن طريق الصدفة بل بمجمل مضمون اشعاره، ولذلك فان تعاطفه مع الادباء الروس الكلاسكيين الذين اعربوا عن المعارضة للحكومة تجلى فى الفضح الصارم للسلطات المحلية التى تمثل الجهاز القيصرى الاستعمارى.

واستوعب اباى المبادئ الجمالية التى وضعها الناقد الروسى بيلينسكى ووضع موهبته وطاقاته فى خدمة المجتمع. كما استوعب بنفس العمق اسس مذهب تشيرنيشيفسكى، وهذا حذوه فلم يكتف بعرض حقيقة الواقع المعاصر المرة، بل اصدر حكما صارما على هذه الظواهر المشوهة فى الواقع الكازاخى انذاك.

ولذلك يتضح المغزى العميق لصداقة اباى مع انصار بيلينسكى و هيرتسن و تشيرنيشيفسكى.

لقد ترك ابای اثارا اخری بالاضافة الی الشعر.

ففی «نصائحه» الفلسفية والنقدية والخلقية عدد كبير من الحكم والامثال والاقوال المأثورة. فهذه الاقوال الحكيمة الموجزة صارت منذ زمان بعيد من ثروات اللغه الكازاخيه الفصحی.

و من الصعب تجديد النوع الادبی «لنصائح» ابای فهی تضم اقوال الشاعر الفلسفية والخلقية والاجتماعية والانتقادية والهجائية. فهذه «الكلمات» التی تتسم تارة بطابع مسالم، وتارة بطابع السخرية اللاذعة وتارة اخری بطابع الحزن العميق الذی يلفع هذا الحديث مع القارئ، تتميز قبل كل شئ باتقانها الاسلوبی الدقيق للغاية لشاعر ذی لغة معبرة ثرة وغنية. وهذه الا قوال الموجهة احيانا الی المستمع مباشرة تحمل فی بعض الاحيان شكل اللنداء المباشر مع المستمع وجها لوجه. وهنا بالذات غالبا يصبح ابای حاكما صارما او انسانا حزينا يتحسر على الشعب ويتألم لمصيره وفی هذه الحالات تتحول «كلماته» الی اعتراف حزين لشخص حكم عليه بان يعيش وحيدا فی عصر الجهل الذی اطبق ظلامه على كل شئ.

وفی ذلك العصر حيث كانت مؤلفات الشاعر توزع مخطوطة كانت «نصائحه» تدرج فی كل

كتاب جديد. واقبل على قراتها ابناء الجيل الاقدم الذين كانوا يطرزون كلامهم باقوال اباى ويتناقشون طويلا بشأن مغزى هذه الا قوال وعبرها. ويبدو ان الشاعر نفسه الذى ادرك سهولة انتشار الشكل النثرى لافكاره المتنوعة العميقة اللاذعة و الذى عرف مسبقا نوعية قراء هذا الطراز من الا بداع الفنى حاول كثيرا ان يتكلم بلغة هؤلاء القراء ويستخدم تقييماتهم الخلقية.

ولقد كان اباى ملحنا اصيلا موهوبا. فبالاضافة الى كثير من اشعاره التى نظمها عن الغناء والموسيقى وضع بنفسه حوالى عشرين لحنا. فاباى المجدد فى الموسيقى كما فى الشعر ضمن الحانه محتوى جديدا واوجد اسلوبا يختلف عن الالحان الشعبية التى كانت موجودة قبله. وتجلى هنا ايضا تنوع الطبيعة الابداعية لدى اباى.

لقد كان اباى المعجب بالعقل الممحص، ذلك المناضل المنور المتحمس من اجل الثقافة والذى عاش فى وحدة قاتلة فى البيئة الكالحة للعمد والاقطاعيين الجامدين والجشعين والمنافقين، شخصية بارزة ليس فى تاريخ شعبه وحسب، بل وفى تاريخ الشرق الاوسط كله. لقد سلك اباى طريقه وسط ظلام وتحجر عصره ونال النور والسعادة عندما خرج به هذا الطريق الى درب

الشعب الذى لن تجرأ على اتلافه اية قوى شريرة.

ان جيلنا يعتبر اباى واشعاره الخالدة التى ارتوت من عصارة الشعر الكلاسيكى الكازاخى واروسى ظاهرة مدهشة. فقد استوعب افضل ما فى ثقافة الشعب الكازاخى طوال القرون، واغنى هذه الكنوز بثمار الثقافة الروسية. وكان اباى باهتمامه بالتراث العظيم للثقافة الراحية للشعب الروسى قد وقف على رأس اكثر الحركات تقدمية فى تاريخ الفكر الاجتماعى لشعبه. فاباى الذى يعتبر من اوائل الشخصيات المثقفة لدى الشعب الكازاخى كان قد حطم كافة الحواجز التى كانت تحول دون اطلاع المجتمع الكازاخى على الثقافة الروسية التقدمية. وبذلك ساعد على دمج الشعبين الروسى و الكازاخى فى النضال من اجل المستقبل النير وضد النظام الرجعى الذى فرق بين هذين الشعبين. ولذلك يغز علينا اسم اباى فان اشعاره كانت تصدح حديثة نضيرة فى الجبهة لدى الكازاخيين الذين دافعوا عن ارض الوطن فى الحرب الوطنية العظمى والذين عززوا وصهروا بدمائهم اواصر اسرة الشعوب المتآخية فى الاتحاد السوفييتى العظيم.

لقد اصبح اباى الذى سار مع افضل ابناء

وبنات وطنه عبر سنوات القتال عزيزا على جيلنا الحديث بصورة اكبر واعظم.

ويتجلى فى ذلك اسطع برهان على مجد اباى الذى لا ينضب باعتباره البانى الحقيقى للثقافة الكازاخية الجديدة، وباعتباره القمة اللامعة فى الشعر الكازاخى الكلاسيكى.

مختار اويزوف

محتويات

كان يشدنا الحنين للمصيد ٦
جبهة فاتنتى كالذهب الخالص . . . . —
هل تهب حسناء قلبها؟ ١٢
ايه ايها الكازاخ... يا شعبى البائس . ١٤
اذا انفرط عقد الجواهر... فلن يضيع . ١٦
الصيف ١٨
طعم العلقم فى حلقى وحياتى تنصرم . . ٢١
الشعر سيد الكلمات، وسلطان الفنون . ٢٣
الخريف ٢٧
الشتاء ٢٩
فى ليل ناعس الا هداب ٣١
كلمة الا لمعى الراشدة ٣٣
ايه ايها اللسان... ذو اللحن والنبرات . ٣٥
لا احلق بأ شعارى فى الا وهام . . . ٤٣
العقل بارد نفاذ ٤٥
الحب نفحة الهية ٤٦
اواه ما اتعس المصير ٤٧
سلاما يا ذات الحواجب الدقيقة . . . ٥١
كفها البضة... تمسك بضفيرتها . . . ٥٤
قالت لى حنكه التجربة ٥٦
يعانق وجه الاسى ٥٨
تزهف انفاسى الا حزان ٥٩

اقبلت ساعاتى الا خيرة ٦١
كل شئ فى الدنيا ثقيل تعافه النفس . . ٦٥
تتضرع روحى للحب ٦٧
الربيع ٦٩
هذا الشاب العابث ٧٣
من اين له هذا الصلف ٧٥
الدماء الشبابة تتدفق لهبا ٧٧
حينما يأسر الشوق قلبين ٨٠
مرهق من الحب ٨٣
فى اى واد تهيمين ايتها الروح . . . ٨٨
تمتد ظلال النسيان ٩٠
ها هو الخريف يوشح حياتى . . . ٩٢
قلبى يفيض بالحزن على الشباب . . ٩٤
يتناحى المحبون بلا كلمات ٩٥
اندثر عهد الطفولة فى زوايا العدم . . ٩٦
ربما تفنى الطبيعة، ولكن سيبقى . . ٩٧
«ماجيش» يا اخت روحى... كفاك نحيما . ٩٩
اى دمع مر... يا رب ١٠٢
تدق الساعة وهى تشيع مواكب الزمن . ١٠٨
يحمل الانسان طائر الروح الملهلم . . ١١٠
حينما لا يخنق الروح شئ. ١١٢
تركض السحب فى السماء ١١٤
كاذب من يحمل على كفه المديح . . . ١١٥
تشرئب زهرة الثلج فى الربيع . . . ١١٦

الاغانى تهد هد النفس ١١٧
ايه يا لغة الكازاخ... يا زخم الشعر . . ١١٩
ان ركضت وراء رغائبك ١٢١
تتابع الا يام متشابهة ورتيبة ، . . ١٢٣
متها فتة دقات قلبى كأنها لا تسمع . . ١٢٤
كانت دماؤك تتضرم فتوءه ١٢٦
كم هوموحش هذا العالم ١٢٨
لماذا يفتر ثغره ١٣١
قامتك شامخة.. بالزهو ١٣٣
رحيد انت ايها القلب ١٣٥
حينما تتلاشى الظلال ١٣٧
صوحت وريقات الامل ١٣٩
آن لى ان ابصر بفكر حصيف . . . ١٤٠
ترود دنيا الحب والصداقة ١٤٢
تزدهى الفراشات بحلل الضوء الشفيف . ١٤٣
يتألق نهر السعادة فى القلب . . . ١٤٤
حينما تدمدم البروق ١٤٥

اشعار من مختلف السنوات

با لله... خل اوتار القيثار . . . ١٤٧
افكارى الهائمة تنبش الماضى . . . ١٤٨
م. اويزوف. «اباى قونانبايف» . . . ١٥٠

Абай Кунанбаев

ИЗБРАННЫЕ СТИХИ

(На арабском языке)

Составитель *Нуралы Усерович Усеров*

Редактор *Ж. Кайранбаев*
Художник *Б. Машрапов*
Художественный редактор *Н. Нураганбеков*
Технические редакторы *Н. Сайфуллина, К. Абдикаримова*

ИБ № 4565

Сдано в набор 24.03.86. Подписано в печать 16.12.87. Формат $60\times84^{1}/_{32}$. Бумага офсетная № 1, 100 гр. Гарнитура «Литературная». Печать офсетная. Усл. п. л. 5,6. Усл. кр.-отт. 11,4. Уч.-изд. л. 4,1. Тираж 1000 экз. Заказ № 1732. Цена 60 коп.

Ордена Дружбы народов издательство «Жазушы» Государственного комитета Казахской ССР по делам издательств, полиграфии и книжной торговли, 480124. г. Алма-Ата, пр. Абая, 143.

Фабрика книги производственного объединения полиграфических предприятий «Кітап» Государственного комитета Казахской ССР по делам издательств, полиграфии и книжной торговли, 480124, г. Алма-Ата, пр. Гагарина, 93.